كتاب الهلال

# البيت الإسلامي

مقداد يالجن

# كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : يوسف السباعي

رئيس التحرير : صالح جودت

المشرف الفني : جمال قطب

سكرتير التحرير : عايدة عياد

العدد ٢٦٢ – شعبان ١٣٩٢ – أكتوبر ١٩٧٢

No. 262 — Octobre 1972

**مركز الادارة**

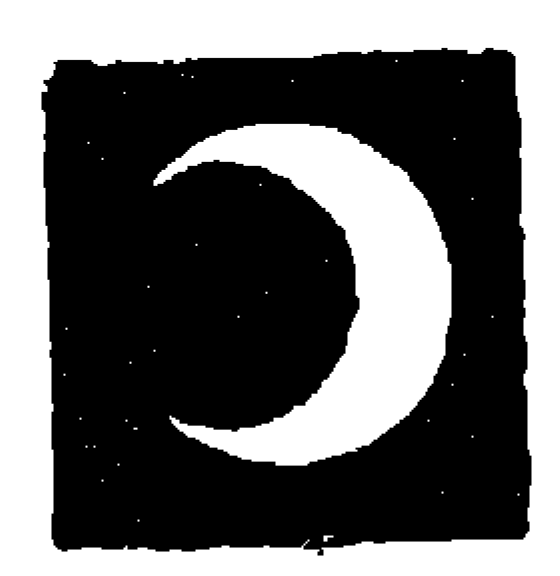
دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ ( عشرة خطوط )


**الاشتراكات**

**قيمة الاشتراك السنوى** : (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ – فى سائر انحاء العالم ٥ر٥ دولارات أمريكية أو ٢ جـك – والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية • فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية – والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل عند الطلب على الاسعار المحددة ••

# كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــــلاف بريشة
الفنان جمال قطب

مقداد يالجن

# البيت الإسلامي

## كما ينبغي أن يكون

دار الهلال

# اهداء

الى هؤلاء الذين يرغبون فى تكوين بيت اسلامى سعيد .

وهؤلاء الذين يريدون انقاذ البيت من التفكك والانهيار .

وهؤلاء الذين يرغبون فى أن يصنعوا من أولادهم رجال المستقبل .

الى هؤلاء جميعا أهدى هذا الكتاب .

# مقدمة

لقد مضت ستة أعوام من عمر هذا الكتاب وكان أول كتاب كتبته ، وقبل اعداده للطبع ترددت فى ذهنى موضوعات رأيتها أهم منه ، فانصرفت اليها ، وشاء الله أن يظهر بعضها .

ولكن بعد أن تخصصت فى الدراسات التربوية والاجتماعية ، ظهرت أهمية هذا الموضوع بصورة ما كنت أدركها بالدرجة التى أدركتها اليوم .

وبالرغم من انشغالى باعداد رسالة لنيل درجة جامعية فان أهمية هذا الموضوع قد ألحت على لاظهاره للوجود .

وبعد أن أضفت اليه ما تجدد فى ذهنى من أفكار ومعلومات متعلقة بهذا الموضوع ورأيت ضرورة اضافتها اليه جاء الكتاب بهذه الصورة التى أقدمها اليوم الى القراء .

واهمية هذا الموضوع تأتى من تعلقه بالمجتمع الاسلامى بأسره من جهة وبكل فرد فيه من جهة أخرى ، أى انه متعلق بمشكلة اجتماعية وفردية أيضا .

ولهذا فاننى لا أخرجه اليوم لطائفة ولا لافراد معينين ، بل أخرجه لكل فرد فى المجتمع الاسلامى : صغيرا كان أم كبيرا ، ذكرا كان أم أنثى .

لان كل فرد من هؤلاء لابد أن يكون له بيت ولا بد من أن ينتسب الى بيت سواء كان أبا أم أما ، ابنا أم بنتا ، وكل له حقوق وعليه واجبات ، فلا بد من أن يعرف ما له وما عليه .

***

ولعل أحوج الناس الى هذا الكتاب هؤلاء الذين يريدون تكوين بيت اسلامى يقوم على دعائم الاسلام وأسسه وهديه ، أو يرغبون تحويله الى بيت اسلامى.

وبعبارة أوضح فانه يخص كل من يرغب فى تكوين بيت سعيد : يسوده الهدوء والاستقرار ، والاطمئنان ويملأه الشعور بالبهجة والسرور والرضى ، وتغمره المحبة والرحمة والوئام ، وتفوح منه رائحة العلم والدين والادب ، ويزينه أنجال كالنجوم يحولون البيت الى رياض لا يسمع فيه الا تغريد هم بلابله ولا يشم فيه الا أريج هم وروده وأزاهره ، ويصبحون كواكب البيت يشع منهم نور الايمان ، ويرشدهم هدى الرحمن ، يخرجون على المجتمع وهم على خلق ودين يعملون باخلاص لهم ولغيرهم ولا يصدر منهم الا الخير ، ولا يعرفون رقيبا على أفعالهم وحركاتهم وسكناتهم الا الله لان رضاءه ، والفوز بالسعادة الدائمة فى الحياة الآخرة هو مجمع همهم فى هذه الحياة الدنيا.

***

وبعد فمن رغب من ذكر أو أنثى فى أن يبنى بيتا هذا شانه فعليه أن يسير على ما يرسمه هذا الكتاب من طريق ، وما يوضحه من منهج قد استمد فلسفته وأصوله الفكرية العامة من فلسفة الاسلام فى تكوين الاسرة بوجه خاص ، وتكوين المجتمع بوجه عام .

ولتحقيق هذه الغاية جاء تخطيط الكتاب كالآتى :

ففى الفصل الاول عرضت أهم الاسس التى لابد من اخذها فى الاعتبار الاول فى تكوين البيت .

وفى الفصل الثانى بينت كيفية تنظيم البيت ونظام الحياة فيه .

وفى الفصل الثالث ذكرت أهم أسس حل مشكلات البيت ، وطرق حمايته من الداخل والخارج .

وأرجو من الله أن يحقق ما رجونا تحقيقه من كتابته وأن يسدد خطانا وأن يجعله خالصا لوجهه .

الفصل الأول

# أسس تكوين البيت الإسلامي

## تحقيق المطالب الفردية والاجتماعية

يجب أن يضع من يرغب في تكوين بيت اسلامى ـ فى اعتباره الاول ـ ان تكوينه يقام على أســـاس تحقيق المصالح والمطالب الفردية والاجتماعية معا .

وهـذه النقطة تحمل اهمية كبرى لا يصح اغفالها بأى حـال من الاحـوال ، لأن البيت كما هو ضرورة فردية فهو كذلك ضرورة اجتماعية أيضا .

أما ضرورته الاجتماعية ، فهى تظهر بوضوح عندما ننظر اليه من الزاوية الاجتماعية باعتبار انه مؤسســة اجتـــماعية ، والعش الاول لتكوين أفراد المجتمع والمدرسة الاولى لتربيتهم واعدادهم للحياة الاجتماعية فى أخطر مرحلة من مراحــل التربية ، وأكثر مراحــل النمو النفسي والعقلى والاجتماعي والجسمى حساسية ، وقد اتفق التربويون على انه لا يمكن الاستغناء عن هذه المدرسة اذا أريد نمو الطفل من جميــع النواحي نموا سليما ، وذلك بعد أبحاث عديدة أجروها لمعرفة مدى

الفروق فى النمو السليم بين أطفال عاشوا فى ملاجىء الاطفال وفى المؤسسات التربوية وبين أطفال عاشوا فى أحضان الامهات ورعايتهن وشفقة الآباء وعطفهم ، فوجدوا ان معظم الأطفال من النوع الاول قد أصيبوا بالامراض النفسية والاضطرابات العصبية والنقص فى النمو الطبيعى فى ناحية من نواحى النمو أو كلها . كما وجدوا أن أغلب المجرمين والمنحرفين والشواذ من هؤلاء ، وانتهوا الى أنه لكى يكون النمو سليما يجب أن يعيش الطفل بين عاطفة الام الرؤوم ورعايتها وبين اشفاق الوالد الرحيم .

الى جانب هذا فان البيت فى هذه المرحلة يقوم بوظيفة التنشئة الاجتماعية اذ يتشرب الاطفال فيه ايديولوجية المجتمع من العقائد والقيم الاخلاقية والاجتماعية والاتجاهات والافكار السائدة فيه .

والتنشئة على هذا النحو فى هذه المرحلة أسهل من المراحل الاخرى لان الاطفال يتقبلون فيها التلقينات والمعلومات والسلوك من الآباء أكثر وأسرع من المدرسين وغيرهم . كما ان هذه التنشئة فى هذه المرحلة أكثر ثباتا ودواما من غيرها لانها تؤدى الى التنظيم الانفعالى والمعرفى اللذين يتكونان عند الاطفال فى أول مرحلة من حياتهم التى يتفتحون فيها على الحياة وعلى الكون ، فعلى أساس هذا التنظيم يستقبلون الحياة وينظرون اليها والى من حولهم من الناس .

ومن هنا نجد ان الاجتماعيين والتربويين أقروا بضرورة البيت للحياة الاجتماعية وبضرورة التربية فيه بصرف النظر عن اختلافهم فى أصل نشأة البيت فى المجتمعات : هل كان نتيجة التنظيم الدينى كما تخبرنا الاديان السماوية بأنه بدأ من زواج آدم بحواء ، أم انه

جاء نتيجة الخبرة الانسانية فى الحياة بأنه أسلم نظام الها ، أم انه نظام فطرى فى المجتمع الانسانى أم نظام تطورى ؟

ولهذا عندما حاولت روسيا التخلص من نظام البيت لتنشئة الاطفال فى المؤسسات التربوية بأيديولوجية معينة اصطدمت بهذه الحقيقة . فتخلت عن خطتها وبدأت تهتم بنظام البيت وقالوا نحن ننتظر اليوم الذى تتحسن فيه اقتصاديات البلاد وتستغنى المرأة عن العمل فى الخارج وتتفرغ لتربية أولادها ورعايتهم ولا سيما فى المرحلة الاولى من حياتهم (١) .

***

ولعل السبب الذى دعا روسيا الى الموقف السابق المضاد للبيت والاسرة هو نفس السبب الذى دعا افلاطون الى القول : « ان الحياة العائلية تهدد وحدة الدولة » (٢) .

وهذا يمكن اذا كانت هناك عقائد تربوية مختلفة من منطقة الى أخرى .

والذى دعا ارسطو الى القول أيضا بأن الشر يبدأ من المنزل ، حقا ان الشر يبدأ من المنزل اذا كانت التربية خاطئة ، ولكن الخير أيضا يبدأ من المنزل اذا كانت التربية سليمة ، ولكن لايمكن أن يأتى الخير من وراء هدم البيت .

وخير طريقة هى أن تربى الاطفال فى المرحلة الاولى فى البيوت عن طريق تربية البيوت أى عن طريق تربية الآباء والامهات والاهتمام بتنظيم الاسرة ورعايتها

(١) التربية المقارنة للدكتور وهيب سمعان ص ٢١١ الطبعة الاولى مكتبة النهضة المصرية .
(٢) التربية المقارنة للدكتور وهيب سمعان ص ٤١ — ٤٢ الطبعة الاولى مكتبة النهضة المصرية .

وانقاذها من المشكلات التى تعانى منها .

أما ضرورته الفردية فلها جانبـان :

الاول : انه يحقق مطالب أفراد الاسرة من حيث انه نظام ضرورى لينمو هؤلاء نموا سليما كأفراد انسانيين يشعرون بالروابط الاجتماعية والعلاقات الانسانية .

والثـانى : انه يحقق المطـالب الوالدية والحاجات الاولية لان الوالدية من الدوافع الـكامنة فى نفسيـة الانسان تدفعه الى اشباعها ، ولان الدوافع النفسيـة والحاجات الاولية الاخرى ، لابد من اشباعها .

***

وينبغى الا ننسى ان الوظيفتين الفردية والاجتمـاعية للبيت مرتبطتان أشد الارتباط ، ذلك أن البيت فى أى مجتمع هو أساس هـــذا المجتمع فكما يكون ، يكون المجتمع . وبنـاء المجتمع السليم يبدأ من بنـاء البيت السليم ، فهو بهذه النظرة الخلية الاولى لنشأة المجتمع فلا بد من أن تكون الخليـة الاولى سـليمة لسـلامة ما ينشأ عنها ، أما اذا كانت فاسـدة فلا بد من أن يكون ما ينشأ عنها فاسدا .

ثم ان سـعادة الفرد والمجتمع وشـقاءهما مرتبطان كذلك بسعادة الفرد وشقائه ، ذلك ان البيت السعيد يجعل أفراده سعداء فى داخل البيت وخارجه . وهذه الظـاهرة تؤثر فى أعمـال هؤلاء الافراد وفى علاقاتهم بغيرهم ، فهم يحسنون معاملة غيرهم ويستطيعون اتقان أعمالهم فى ميادين الحياة كلها .

زد على هـذا ان السعادة تضفى على حياة الافراد البهجة وعلى وجوههم البشاشة ، وعلى أنفسهم مزيدا من الطاقة والنشاط ، وكل هذا ضرورة للأفراد والمجتمع

وشرط من شروط انتظام الجماعة وتقدمها من الناحية الاجتماعية والمادية والمعنوية .

وهناك جانب هام فى هـذه الناحيـة وهو ان البيت يمكن أن يكون مصـــدر صراع فى داخل الفرد والمجتمع اذا كانت تربية البيت تخالف التربية العامة والتربيـة فى المدارس تخالف التربية فى البيت لانه بذلك يحصل التنـاقض بين حيـاة البيت والحيـاة خارج البيت ، هذا اذا ما أسيىء تنظيم البيت ، والتربية فيه . أما اذا أحسن هذا وذاك فيصبح البيت من الوسائل الهامة للتكيف الاجتماعى .. والتـكيف الاجتمـاعى شرط من شروط السعادة الاجتماعية .

من هذا كله يتبين لنا ان البيت يمكن أن يكون مصدر خير كما يمكن أن يكون مصدر شر ، وعلينا أن نبحث دائما كيف يمكن أن نجعله مصدر خير ومنبع سعادة ومدرسة الجيل المثالى .

وليست عملية بناء البيت بالهدف الاجتماعى المشار اليه عملية غريبة على الاسلام ، بل هى روح الاسلام ، فالاسلام يعتبر المجتمع كشخص واحد وكجسد واحد ، يقول الرســول صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . فلا بد من ملاحظة الـكيان الاجتماعى عند القيام بأعمال شخصية ولا سيما اذا كانت لها صلة بالمجتمع ، وتكوين البيت له صفة اجتماعية اكثر من صفته الفردية ويؤثر تأثيرا كبيرا ان عاجلا أو آجلا فى الحياة الاجتماعية .

من أجل هـذا كله يجب أن يضع كل من يرغب فى تكوين بيت اسلامى هذا الاساس فى الاعتبـار الاول .

# الزواج وأهدافه

لاشـــك ان الزواج أســـاس لتكوين البيت فلا يمكن تكوين بيت بدون زواج ولعل هذا من أهم الاسس من هذه الجهة .

واذا كان الاسلام يريد بناء بيت محكم لا يتصـــدع ولا يتهـــدم بل يستمر ويقف ثابتـــا أمام كل العوامل الهدامة ، فلـــكى يكون الزواج أساسا لمثل هذا البناء ولـــكى يكون هذا البيت بيتا اسلاميا فلا بد من مراعاة الامور الآتية :

أولا : ان الزواج رباط اجتمـــــاعى ، فعن طريق الزواج تتكون الاسرة ، وعن طريقه أيضا تتكون الروابط بين الاسر وبين الاجناس والشعوب ، ولعل الحكمة من زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من قبائل مختلفة هى الربط بين هذه القبائل والتآلف بينها ، وقد أمر الاســـلام المسلمين بالتعـــارف على اختـــلاف قبـــائلهم وأجناسهم . فقال تعالى : « يا أيها النـــاس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنـــاكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (١) .

والزواج وســـيلة من وســـائل التعـــارف والتآلف والترابط ، ولعل من أهداف الرسول صلى الله عليه

---

(١) سورة الحجرات ١٣ .

وسلم في أمره بالزواج من غير الاقارب هو هذا الترابط وأخذ هذا فى الاعتبار له أهمية اذ انه من عوامـــل دوام الرباط الزوجي لان قطع هذا الرباط لبعض الدواعى يؤدى الى قطع الرباط بين الاسرتين أو أكثر .

هـــــذه الفكرة تجعلهما يتحملان ما يقع بينهما من مشاحنات أو أذى ولا يقدمان على الافتراق مراعاة لما بين الاسرتين من الترابط والتآلف .

وهناك جانب آخر من الرباط وهو ربط الفرد بغيره بزوجه وأولاده ، وهــذا مهم جدا فى حيــاة الفرد اذ انه يقضي على شــعور الفرد بالوحدة ويجعله يتحمــل المسئوليات أصــعب وأثقــل ويواجه الحيــاة بشجاعة وبسالة ويزيد احساسه بالسرور ويزيد نشاطه فى العمل لانه يشعر فى قرارة نفسه بأنه يعمــل لنفسه ولأحب الناس اليه وهم أولاده الذين انفصلوا عن نفسه وعن فلذات قلبه .

والشعور بالوحدة فى داخــل المجتمع يقلل نشـــاطه وفاعليته وحبه للناس ، وهذا يؤدى بدوره الى الانتحار عند مواجهة الصعوبات والازمات الشديدة فى الحياة .

ولهذا كانت نسبة المنتحرين من العزاب أكثر من المتزوجين ، وأرجع العلماء السبب الى ما بيناه .

ولا شـــك ان الفرد عنــدما يشعر بالروابط المتينـــة والوشائج العظيمة وتراوده فكرة الانتحار عند مواجهة الازمات يشعر انه بذلك لا يقضي على حياته فقط ، بل يقضي على حياة أولاده وزوجته ، وهذا يجعله يتحمل المسئوليات والصعاب ولا يقدم على الإنتحار .

ثانيا : انه يحقق المطالب البيولوجية والسيكولوجية فى الفرد .

ان الله خلق هذا الانسان وأودع فيه حاجات أولية ،

سواء كانت عضوية أو نفسية ، وهى الحاجات التى لابد من اشباعها ، وعدم اشباعها يؤدى الى أضرار تقاس بدرجة ضرورتها . من هذه الحاجات ، الحاجة الى الجنس أو الدافع الجنسي وقوة هذا الدافع كما ذكرها العلماء تأتى فى الدرجة الثالثة بعد الدافع الى الطعام ودافع الامومة ، ويختلف الافراد فى درجة قوة هذا الدافع سواء كان سبب هذا الاختلاف الوراثة أو العوامل البيئية ، وقد يفقد الفرد هذا الدافع كلية أو جزئية ، نتيجة بعض العوامل المرضية .

غير انه من الممكن معالجة هذه الامراض وتلك الحالات . وهناك أمر يتعلق بهذا الموضوع وهو ان بعض الافراد من الجنسين قد يشعر فى نفسه بضعف الدافع الجنسى ويدفعه هذا الى الاعراض عن الزواج ، هذا الاعراض عن الزواج خطأ فى نظر الاسلام لان رسالة الزواج ليست أمرا فرديا فقط كما قلنا ، بل هى أمر اجتماعى أيضا لان الله عندما خلقه خلق مقابلا له من الجنس الآخر فاذا هو استطاع الحياة بدون الزواج فقد لا يستطيع الآخر ، وبالتالى فان عدم زواجه يسبب حرمان الآخر أو وقوعه فى الحرام ، ولهذا شجع الاسلام الزواج واعتبر المعرض عنه معرضا عن سنة الاسلام .

فليس للأفراد حرية فى أن يتصرفوا فى أنفسهم كما يشاءون ...

هذا هو الجانب البيولوجى من الحاجة ، وهناك الجانب السيكولوجى النفسى من الحاجة الى الزواج أيضا ، والجانبان مرتبطان ، فكما ان عدم اشباع هذا الدافع يؤدى من الناحية البيولوجية الى تقليل نشاط الغدد الجنسية التى تؤدى بدورها الى تقليل نشاط

الجسم ، كذلك تؤدى من الناحية السيكولوجية الى بعض الاضطرابات النفسية ، والقلق ، والانحراف عن السواء فى بعض المظاهر السلوكية ، وهذا مرتبط أيضا بالعوامل البيولوجية والبيئية والسيكولوجية .

***

ويمكن تقليل حدة الشهوة وأثرها عن طريق الابتعاد من الاجواء المثيرة وعدم تناول الاطعمة المقوية لها ، وعن طريق الصوم وتربية النفس الا أنه ليس هناك طريق أسلم من طريق الزواج ، ولهذا قال تعالى وهو يعلم من خلق : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» (١) فالسكن النفسى والمودة والرحمة التى يشعر بها الانسان ازاء زوجه تعتبر من الحاجات السيكولوجية التى لا يستغنى الانسان عنها ولا يجدها فى غير الزواج ، هذا السكن ليس هو السكن العقلى ، أى الخلو من المشكلات والمشاغل الذهنية وليس هو السكن المادى أي الاستقرار على شيء مريح ، بل هو سكن روحى وقلبى .. سكن روح الى روح من جنسه وسكن قلب الى قلب من جنسه ، فتصبح الروحان روحا واحدا ، ويصبح القلبان قلبا واحدا .

والمودة هنا ليست من نوع المودة بين الآباء والابناء ، ولا من نوع المودة التى توجد بين الاصدقاء ، وكذلك الرحمة .. هذه الرحمة الخاصة بين الزوجين غيرها بين الناس الآخرين ، انها سر من أسرار الله ، ولهذا كانت آية من آياته يجدها من يفكر فيها ويتدبر ، ومن يتزوج ليجمع الروح بالروح ، لا الجسد بالجسد ، ومن يتزوج ممن يكون قلبها من نوع قلبه وروحها من نوع روحه ،

(١) سورة الروم آية ٢١

يتزوجها باسم الله وغايته اتمام أمر الله وتحقيق حكمته وآياته ، ومن هنا قال بعض علماء النفس ان الاتصال غير الشرعى بين الرجل والمرأة يتم فيه اتصال الجسد بالجسد ولا يتم فيه اتصال الروح بالروح ، لان الزانية تعطى جسدها ، ولا تعطى قلبها وروحها ، ولتتم السعادة لابد من الاتصال الجسمى والروحى معا ولهذا فالاتصال غير الشرعى اتصال ناقص ، بالاضافة الى ما يعتوره من الخوف من العار ومن عدوى الامراض والشعور بالذنب وتأنيب الضمير .

وهكذا نجد ان الزواج أمر فطرى فى الانسان وسنة الاسلام الموافقة لسنة الحياة والكون ، قال تعالى : « الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون » . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أحب فطرتى فليستن بسنتى وان من سنتى النكاح » .

وهكذا جاء الاسلام موافقا للفطرة ولسنة الكون ، وهكذا تلتحم سنة الاسلام مع سنة الكون .

ثالثا : ضرورة الزواج للوقاية من الامراض

لقد أقر جميع الإطباء ان هناك أمراضا كثيرة تنتقل وتنتشر عن طريق الاتصال غير الشرعى ، أو بتعبير آخر عن طريق الزنا ، ويخصون انتقال بعض الامراض بالزنا ويسمونها بالامراض الزهرية أو السرية . وبالرغم من تقدم الطب ، ولا سيما فى أكثر الدول تقدما فى الابحاث الطبية فلم يستطع وقاية المجتمع من انتشار مثل هذه الامراض ، فالولايات المتحدة الامريكية مثلا بالرغم من تشديدها الرقابة الطبية على بيوت الدعارة وعلى المومسات ، فهذه الامراض تنتشر فيها ويعانى الاطباء منها ويجدون الصعوبات فى الوقوف أمام انتشارها فى

ضوء القوانين المدنية الخلقية ، لان هذه القوانين تبيح الزنا بوجه من الوجوه أولا ، ثم انها تفرض على المومسات عرض أنفسهن للكشف الطبى مرة فى الاسبوع فقط ، وهناك كشف طبى مفروض على بيوت الدعارة ، ولكن الكشف الطبى لا يتم على أى حال فى كل يوم ، ولو انه تم فى كل يوم مرة فرضا ، فانه لا يتم بعد كل اتصال ..

وهكذا تعجز هذه القوانين ، ويعجز الاطباء عن وقاية الافراد بوجه خاص ، والمجتمع بوجه عام من هذه الامراض القاتلة ، ولكن الاسلام بقوانينه الخلقية الصارمة يمنع أى اتصال غير شرعى ويجعله محرما ، كما يحرم على العفيف الطاهر الزواج من الزانية ، وعلى العفيفة الطاهرة الزواج من الزانى ، فقال تعالى : « الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة ، والزانية لاينكحها الا زان أومشرك وحرم ذلك على المؤمنين» (١)

وربما أخالف فى ذلك أكثر العلماء ، الا ان ما لدى من الادلة تدفعنى الى تأييد القول بعدم صحة هذا النكاح ، لان الآية صريحة محكمة وغير منسوخة ، كما يدعى البعض ولأن الزواج من الزانى يؤدى الى انتشار الامراض وانتقال بعضها الى الدرية .. فهذا ليس جريمة فردية فحسب ، بل هو جريمة فردية واجتماعية معا ..

وهكذا ، فالاسلام لا يفتح من البداية طريق انتشار هذه الإمراض الخبيثة ، أما تلك القوانين فتفتح هذا الطريق أولا ، ثم تحاول العلاج بعد ذلك ، فمثلها كمثل من يعرض نفسه للجروح ، ثم يحاول معالجتها ، أما الاسلام فلا يعرض للجروح ، وبالتالى لا يحتاج

(١) سورة النور آية ٣

للعلاج ، وأين حكمة هــذا من ذاك ؟.. فالاول لا يعرض الناس لضربات الطبيعة الغاضبة .. أما الثانى فيعرضهم للأخطار ، ثم يحاول علاج ما قد نجم عن هذه الاخطار أو لا يستطيع .

وهكذا نجد ان رسالة الاسلام تتلاءم مع فطرة الطبيعة لان واضع هذه القــوانين الاســلامية يعلم من البــداية القوانين الطبيعية : « ألا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير » (١) . وكانت ســـنة الله أن بدأت الحيـــاة الاجتمــاعية بالزواج بين آدم وحواء ، قال تعــالى : «والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا» (٢)

فالزواج هو القانون الاجتماعى السليم ، ولن يجد الناس بديلا لهذا القانون ، ولهذا قد اتفقت الرسالات السماوية فى هذا المبدأ وفى تحريم الاتصال غير الشرعى.

وقد ينظر الشبان والفتيات الى عدم الزواج نظرة الحرية وقد يحبذونه ويجذبهم مبدأ قضاء شهواتهم مع من شاءوا وكيفما أرادوا وفى أى وقت رغبوا ، هــذه النظرة قد تبدو لهؤلاء — وهم فى عنفــوان شــبابهم — نظرة سليمة ، وفكرة لامعة ، الا ان الامر عندما يئول الى واقع عملى ، وبعد زوال طيش الشبـــاب ، فانهم يدركون العاقبة الوخيمة ويدركون جيدا أنه ليس هناك فكرة أكثر فتكا بكيان الفرد والمجتمع من هذه الفكرة .

ذلك انهم عندما يتساقون وراء هذه الفكرة ، وهــذا المبدأ ، فانهم عنــد ذلك لن يجدوا حــدودا لقضــاء شهواتهم من ناحية ، ولن يجدوا الاطمئنان النفسى من ناحية أخرى ، ولن يستطيعوا أن يحتفظــوا بصحتهم من ناحية ثالثة ، لان الشهوة طاقة للانسان ، فاذا زالت الحواجز والضوابط لها تتبدد هذه الطــاقة وتتلاشى .

(١) سورة الملك (٢) سورة فاطر ١١

والانسان اذا تجرد من الضوابط والقيم المحافظة لن يستطيع أن يقف أمام شهوته الدافعة ، فكل امرأة يراها ويعجب بها يحاول قضاء وطره فيها ، واذا هى لم ترغب فيه يجد الكآبة فى نفسه لانه لم يستطع تحقيق غرضه واشباع دافعه ، واذا تحقق مطلبه فى كل مرة فانه يبدد قواه ويفقد صحته ثم يفقد ارادته والسيطرة امام رغباته وشهواته الطاغية ، وبالاضافة الى هذا يصبح همه وهم أمثاله السعى وراء النساء ، يلهثون وراءهن فى الشوارع كالكلاب ، وقد تفعل النساء مثل ذلك ، وهكذا سيبحث كل واحد عن ليلاه . والتى يعتبرها ليلاه قد لاتقبل أن تكون ليلاه والعكس صحيح وهكذا دواليك .

وبذلك يضيع السمو الروحى والاهتمامات اللائقة بالانسانية فيضيع العمل الجاد المخلص من اجل المجتمع ومن أجل الوطن ، ومن أجل الانسانية جمعاء ، فتختفى الجوانب الرفيعة من الحياة وتتحول الحياة الى حياة فتنة والى وباء مستفحل والى ظلام دامس يقعون فيه ثم يحاولون الخروج فلا يستطيعون .

وقد يظن البعض اننى بذلك مبالغ فى الوصف ، غير اننى أقول ان ما كتبته هنا لايساوى معشار ما كتبه كبار الاطباء والاجتماعيون فى الغرب عن مضار الزنا وآثاره وتحول الناس عن الزواج الطاهر وحياة البيت السليمة .

وانى ما اختبرت من هؤلاء الذين سلكوا هذا الطريق الخاطىء الا ورأيتهم نادمين على فعلتهم وغير راضين عن سلوكهم ، يحسب الرائى من بعيد أنهم فى سعادة ولكن فى الحقيقة ظاهرهم سعيد وباطنهم جحيم .

ولهذا فلا نكون متعصبين للاسلام اذا قلنا انه خير

دين جاء بقوانين ناجعة فى هذا المجـــال ، اذ جاء بنظام يحتفظ الناس فيه بصحتهم البيولوجية والسيكولوجية ، فلا يبـددون طـاقتهم لانه منع من الافتتان وحرم الزنا وأباح الزواج ، والزواج لا يبدد الطاقة لانه ليس هناك مثيرات فاتنة ، يلقاها الانسان كل يوم .. ثم انه وجـه الانسانية الى الحياة الرفيعة والسمو والعمـــل من اجل الناس ومن أجل الدين ومن أجل الآخرة .

ولهذا كان الاســلام نورا أمام الناس ونهجا سليما للحياة الفردية والاجتماعية وصدق الله العظيم اذ يقول : « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » (١) .

رابعا : الاستمتاع

والزواج فى نظر الاسلام ليس كله تكاليف وانما الى جانب التكاليف فيه متعـــة ، فالغنم بالغرم مبدأ من مبادىء الاسلام والامل فى التمتع يدفع الانســان دائما الى النشاط والاستمرار فى العمل وتحمل المسئوليات

والانسان بحاجة الى التمتع فى الحياة ، أحيانا تكون الحاجة اليه جسمية ، وأخرى نفسية ، وثالثة روحية ولانه يرفه عن الانسان ويسرى عنه .

ولهذا أباح الاسلام التمتع فى جميع مناحى الحيـــاة ولكن فى حدود الحـــــلال أو التمتع الطيب لا الخبيث منه ، فقال تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعبـاده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » (٢) وقال الرســـول صلى الله عليه وسلم : « الدنيا متاع ، وخير متاعهـا المرأة الصالحة » (٣) .

---

(١) الانعام ١٢٢ (٢) الاعراف ٣٢
(٣) رواه النسائى ومسلم .

خامسا : انجاب الاولاد

هناك غرضان هامان من الانجاب ، الاول تحقيق حاجة في نفس الفرد ، فالانسان يحب أن يرى صورة نفسه في ولده ويرغب أن يخلفه في الارض يرثه ويأكل ثمار أتعابه ، فمن هنا كانت الاولاد زينة ، كما ان المال والجاه زينة ، قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا (١) • والتمتع بزينة الدنيا مباح كما قلنا طالما كنا نؤدى حق الله وحق العباد •

والفرض الثانى ، هو الحفاظ على النوع الانسانى ، ولتعمير الارض واستمرار الامة ودوامها ، فان الله خلق هذه الدنيا وخلق الناس وأمر بالزواج لتدوم هذه الحياة على نحو ما ويعيش الناس على نمط من الحياة الاجتماعية فلم يرد أن يعيش الناس كالحيوانات مثلا.

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « تناكحوا تناسلوا فانى اباهى بكم الامم يوم القيامة » .

فالتناسل أمر دينى ومبدأ اسلامى لتدوم أمة محمد عليه الصلاة والسلام وتستمر الى قيام الساعة .

سادسا : تطبيق مبدأ دينى

من أجل كل ما سبق جعل الاسلام الزواج مبدأ من مبادئه وجزءا من شريعته . فمن عدل عن الزواج وتركه فقد ترك جزءا من الدين ، ولهذا دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الشباب الى الزواج ، فقال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » (٢) •

---

(١) الكهف ٤٦

(٢) رواه مسلم فى صحيحه الجزء التاسع ص ١٧٣ المطبعة المصرية ومكتبتها .

ولقد حدد الرسول فى هـذا الحديث الغاية الدينية من الزواج فى هدفين .. الاول : انه يجعل الناس يغضون أبصارهم عن النظر الى المحرمات .

والثانى : انه وسـيلة لحفظ الناس من الوقوع فى الزنا .

غير ان الاسلام اذا كان قد شجع على الزواج فليس ذلك على الاطلاق بل انه مقيد بشرط توفر الامكانيـات للقيام بأعباء الزواج وقد عبر الرسـول صلى الله عليه وسلم ، عن هذه الامكانية بالباءة ، وهي الكفاية للقيام بالمسئوليات الزوجيـة ، ومن لم تتوفر عنـده هـذه الـكفاية فليس مطالبا دينيا بالزواج ولا يكون مسئولا عن عدوله عنه ، ولهذا قال الرسـول صلى الله عليه وسلم ما معناه : من كان مستطيعا لان يتزوج ثم لم يتزوج فليس منى . بل ان الاقدام على الزواج بدون توفر الشرط لا يجوز ، وقد نتج عن زواج هؤلاء الذين لا يملـكون هـذه الـكفاءة مشكلات اجتماعية فلم يضروا انفسهم فقط ، بل اضروا أولادهم ومجتمعهم ، وزوجاتهم أيضا . فكم نرى من أولاد هؤلاء هائمين على وجوههم فى الشـوارع لا يجدون مأكلا ولا ملجأ ، ثم يخرجون عالة على المجتمع أو مجرمين .

ولهذا فقد أمر الله هؤلاء بالاستعفاف وعدم الزواج ، فقال تعالى : « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » (١)

وهنا تحدث مشكلة عند عدم وجود المال وهى ماذايفعل الشاب فى عنفوان شـبابه ؟ وقد قلنا ان عدم اشـباع هذا الدافع يضره فاذا منعناه من اشباعه يحصل عنده كبت وهذا ضار واذا أبيح من غير زواج فهذا ممنوع

(١) سورة النور آية ٣٣

فى الاسلام . لننظر الى الاسلام ، كيف حل هذه المشكلة؟ وسنجد انه قد حلها بثلاثة طرق :

الطريق الاول : الصوم ، فالصوم يقلل وطأة الشهوة ويضعف دافعها ، وقد يزول هذا الدافع مدة الصوم وبذلك لا تبقى هناك مشكلة لان المشكلة تحدث عندما يرغب الانسان فى الوصول الى هدف ويحول بينه عائق يعجز عن ازالته ، وبذلك لا يحدث عنده أى صراع نفسى

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فالصوم له ايحاء ذاتى لان الصائم يشعر بأنه يتعبد الله ويرضى خالقه وانه سيدبر له ما يحقق رغبته وانه ان لم يتزوج فى هذه الحياة فانه سيتمتع فى الآخرة بما هو خير وأبقى، وما دام الانسان يشعر بأن مشكلته ستحل عاجلا أو آجلا فانها لا تسبب امراضا نفسية ، وبذلك فالصوم يحل المشكلة من الناحية العضوية والنفسية معا .

والطريق الثانى : هو الاستعفاف ، وهو كف النَفس عن ارتكاب جريمة الزنا .. ويقول علماء النفس ، ان ترك اشباع الدافع الجنسى خوفا من السلطة يؤدى الى الكبت ، اما اذا كان بسبب الاستعلاء ، اى عن طريق النظرة اليه على انه امر قبيح لا يليق به وانه ضار بالصحة ، فهذا لا يضر لانه فى هذه الحالة لم تبق مشكلة نفسية ، ولهذا ربط الاسلام الاستعفاف بالعقيدة من جهة ، وبالاستعلاء من جهة أخرى ، فقد وصف الزنا بالفاحشة . قال تعالى : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » (١) وهذا الحل من الناحية النفسية لا من الناحية العملية ، وقد يعترض هنا ان العفاف يقلل النشاط الجنسي ونقول

(١) سورة النساء ٢٢

ليس فى ذلك ضرر ، اذ انه سيعود الى وضعه الطبيعى بعد الزواج .

الطريق الثالث : أمر أوليــاء الامور بتيسير تزويج بناتهم وأبنائهم ان كانوا فقراء لايستطيعون الانفاق .. قال تعالى : « وأنكحوا الايامى (١) منكم والصالحين من عبادكم وامائكم أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضــله والله واسع عليم » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه » وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد فى سبيل الله ، والمكاتب الذى يريد الاداء ، والناكح الذى يريد العفاف » .

وقال الفقهـــاء أن لم يعن أولياء الامور على تزويج هؤلاء العاجزين عن المال فعلى بيت المال أن ينفق عليهم ويزوجهم ، لان الزواج كما قلنا ضرورة فردية واجتماعية فلا ينبغى اهماله .

وعلى المجتمع أن يساعد الفقراء حتى لا يبقوا بدون الزواج حتى لا يكون ذلك سببا لانتشار الزنا وبالتالى لانتشار الامراض .

فالزواج كما هو ضرورة اجتماعيــة فهو كذلك من واجبات المجتمع نحو أفراده .

(١) الايم من طالت عزوبته من الجنسين

# اختيار الزوجة الصالحة

هذا الاساس يعتبر من اهم الاسس فى بناء البيت ، لان أغلب مشكلات البيت ناتجة عن سوء الاختيار ، ولا يقتصر أثر هـذه المشكلات على الجو العائلى فى البيت فقط ، بل يتعداه الى المجتمع أيضا .

ولان سعادة البيت تتوقف كذلك على حسن اختيار الزوجة ، فاذا كان المرء موفقا فى الاختيار كان موفقا أيضا فى بناء البيت ، فاننا نستطيع قياس مدى نجاح البيت بمدى التوفيق فى الاختيار .

ولهذا كله فان الاختيـــار يستحق كل العنـاية والاهتمام ، وكيف لا ، وهى التى ستكون قرينتـه مدى الحياة ، وجليسته فى الليـل والنهار ، وخازنة أسراره ، والامينة على شئون داره وصانعة أولاده ، ومربيـــة أنجاله ، فاذا نجحت فى تربيتهم نجحوا فى حياتهم ، ولذلك اثر كبير فى حياة البيت بوجه خاص وحياة المجتمع بوجه عام وليس نجاح الاولاد وحـدهم متوقفا على الزوجة ، بل نجاح الرجل فى الحياة متوقف عليها أيضا ، ومن هنا قيل المثل المشهور : « وراء كل عظيم أمراة » واذا صح هذا التعبير فانه يصح أيضـا أن نقول : « ووراء كل فاشل امراة » لانها قد تكون طاقة للرجل وقوة موجهة له ، وقد تكون عائقا كئودا أو منبع مشاكل تبدد قواه .

والمرأة يمكن أن تحـــول البيت الى جنة ، كما يمكن أن تحوله الى جحيم لا يطــاق ، فالـكلمة الطيبـــة والابتسامة الساحرة منها فى وجه الرجـل عند عودته من العمل وهو مرهق تزيلان عن وجهه عبوس التعب وعن نفسه كآبة الارهاق ، كما تضيف الكلمة الخبيثة والنظرة العابسة منها التعب على التعب والـكآبة على الـكآبة ، وعند المشكلات فانها يمكن أن تجعله يشعر وكأنه ليس هناك مشكلات أمامه وتحلها معه ويمكن أن تخلق مشكلة على مشكلة أو تعقدها وتزيد من ضراوتها.

ولهذا فان اختيار الزوجة يعتبر مشكلة أمام الشبان ولان هناك عوامل متشابكة ومعقدة تدخـــل فى عمليـــة الاختيار فهناك عوامل نفسية وثقافية ودينية واجتماعية تتحكم فى أهداف الانسان فى الحياة ورغباته واتجاهاته وميوله واهتماماته فيها وبالتالى تتحكم وتتـــدخل فى عملية الاختيار .

ثم ان هناك مشكلات من نوع آخر ، وهى مشـــكلة طريقة الاختيار وطريقة فهم كل من الطرفين للآخر ، وأخيرا هناك المعايير العامة والخاصة والصـــــــفات الاساسية والثانوية ، وهـــذه الامور تختلف من فرد الى آخر وهكذا .

وفيما يلى نذكر أهم المعايير العـــامة التى ينبغى أن يختار المرء زوجه على ضوئها :

## الانسجام الروحى :

الانسجام الروحى عملية سيكولوجيـــة صرفة ، ذلك ان الانسان عندما يرى فتاة فى أول مرة اما أن يتقبلهـــا فى قلبه أو يرفضها ، وذلك قبـــل أن يختبرها ويعرف اخبارها .

ولعل هذا هو ما قصده الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله : « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » (١)

فالارواح الطيبة تنسجم مع الارواح الطيبة والارواح الخبيثة تنسجم مع الارواح الخبيثة .. قال تعالى : « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات » (٢) .

وليس هذا مقصورا على ما بين الرجل والمرأة ، بل يكون أيضا بين الرجل والرجل ، والمرأة والمرأة ، وكل منا يدرك هذه الحقيقة فى معاشرته للناس ، فنحن لا نجالس ولا نصاحب الناس عادة الا الذين نستريح اليهم روحيا ولا نختار الاصدقاء الا منهم .

وهذا الشرط وان لم يكن كل شىء فى الحياة الزوجية الا انه لا يمكن أن تكون هذه الحياة مليئة بالبهجة والسرور والسعادة ما لم يتحقق هذا الشرط ، وكما أن الحياة لا تكتمل بدون الزواج ، كذلك لا تكتمل الحياة الزوجية بدون الانسجام الروحى بين الطرفين واتحاد القلوب بينهما .

وينبغى أن يعلم الناس ان الزواج الروحي أكثر بهجة من الزواج الحسى لان الاول لذته مستمرة وسعادته دائمة ، والثاني سعادته وقتية تزول بزوال الاتصال الحسي ، ولهذا فالمظهر ليس هو الاساس ، بل المخبر هو الاساس ، والافضل هو اجتماع الامرين معا ان أمكن ذلك .

---

(١) رياض الصالحين ـ باب زيارة أهل الخير ومجالستهم
وصحيح المسلم ج ١٦ ص ١٥٨
(٢) سورة النور آية ٢٦

## الاتفاق فى الايديولوجية :

ويشمل الاتفاق فى العقيدة والقيم والاتجاهات والميول والافكار الاساسية والنظرة الى الحياة بوجه عام .

وينبغى أن يعرف من البداية ان الاتفاق فى جميع الجزئيات والتفاصيل والاذواق والاحساسات ليس من الضرورى ، بل انه لايمكن أن يوجد لأنه من المستحيل أن يوجد شخصان من صورة واحدة فلا يتفق التوأمان من خلية واحدة فى كل الامور ، فكيف يتفق الجنسان من خلايا مختلفة وعاشا فى بيئات وفى أجواء عائلية مختلفة .

وانما كل ما أريده هنا انه لابد من الاتفاق فى الأمور الاساسية السابقة بوجه عام ، أى الاتفاق فى الجوانب الهامة التى تلعب الدور الرئيسى فى توجيه الحياة وجهة معينة ، وفى تربية الابناء تربية خاصة ، اذ لابد من الاتفاق فى التدين مثلا ، لانه يؤثر فى حياة البيت ، والاختلاف فيه يؤدى الى الاختلاف فى هذه الحياة ، والاختلاف فيها لابد من أن يؤدى يوما الى التفرقة وان لم يؤد الى التفرقة فلا يكون هناك توافق وانسجام على الاقل .

واذا لم يكن هناك توافق وتكيف وانسجام روحى ونفسى فى الحياة فلا يكون ثمة معنى للحياة بوجه عام ، وللحياة الزوجية بوجه خاص .

## الاتفاق على نوع الحياة :

اذا كان الاتفاق فى الايدلوجية يشمل الاتفاق فى الجوانب العقلية والروحية والنفسية من الحياة ، فان الاتفاق على نوع الحياة يشمل الاتفاق على الجوانب المادية أو الحسية من الحياة أو مظاهر الحياة بوجه عام .

وهــــذه الجوانب مهمة أيضا كالجوانب الاولى لان الاتفــاق أو الاختــلاف هنــا يؤدى الى ما يؤدى اليه الاختلاف والاتفاق هناك .

وربما تكون الحاجة الى الاتفاق هنا أكثر ضرورة فيمــا اذا كان هناك اختــلاف كبير بين الاسرتين ، فلو كانت الفتاة مثلا من أسرة أرستقراطيــة ، والفتى من أسرة فقيرة فانتقال الفتاة فى هذه الحالة ، من حيــاة الرفاهية والنعمة الواسعة الى حياة ضنكة ضيقة ونعمة قليلة ، هذا الانتقال التنازلى من الاعلى الى الادنى يكون صعبا على النفس وربما لا تطيق هذه الحياة الضيقة المحــرومة ولا تتحملها ، وان تحملتها يوما أو يومين ، فلا تستطيع تحملها أياما وسنين طويلة ، أما اذا وافقت مبدئيا على أن تعيش معه فى السراء والضراء ، ففى هذه الحالة تعد نفسها للتكيف معه حتى فى أسوأ الحالات ، وهذا الاعداد والاســتعداد يخلقان قوة التحمــل والمواجهــة لمصاعب الحياة ، ثم انه لا يكون لها حق الاعتراض على ما تجد من النفقة القليلة لانها وافقت على هذا وأبدت استعدادها من البداية .

ولــكن المــال أيضا ليس دائما وسيلة هامة لدوام الحياة الزوجية وسعادتها ، فكم من الفتيــات انتقلت من بيت غنى الى بيت فقير ، وسعدت فى حياتها وعاشت راضية مرضية ، وكم من فتــــاة انتقلت من الحياة المعدومة الى حياة رفاهية ناعمة ولم تستطع ان تحيــا فيها ، فحياة الزوجة هى زوجها لا ماله ولا جاهه .

على أى حال فالاتفاق مهم لابد منه تجنبا لنزاع قد يحصل وحلا لمشكلات قد تنشأ .

هذا من جهــة ، ومن جهــة أخرى قد تكون الحالة الاقتصـــادية للطرفين فى مستوى واحد ، الا انهما

يختلفان فى نوع الحياة ، فقد يرغب أحدهما فى حياة اللهو واللعب ، ويرغب الآخر فى حياة هادئة وجادة ، وقد يرغب أحدهما فى حياة مقفلة ، والآخر فى حياة مفتوحة ، وقد يرغب أحدهما فى حياة علمية ، والآخر لا يؤمن بها . فلابد من أن يتفقا على نوع الحياة ايا كان هذا الاتفاق ، وهذا أفضل ، أو بالاستعداد للاتفاق ، ولو أدى ذلك الى تعديل بعض الرغبات أو كلها ، فالاستعداد للتفاهم والاتفاق يؤدى غالبا الى الاتفاق والتفاهم فى الحياة .

ويدخل فى نطاق هذا التوافق ، التوافق الزوجى أو التكيف الجنسى .

غير ان الاتفاق على هذه النقطة من أصعب النقط ذلك ان الحديث فيها صعب على الجانبين ، ولا سيما فى هذه المرحلة ، ثم انه لا يدرى أحد هل سيتم التكيف أم لا .. لان وراء هذه الحقيقة ستارا لا يستطيعون استكشافه فعلا الا بعد رفع هذا الستار ، فمن هنا تلعب الصدفة دورا كبيرا فى هذه الناحية .

غير انه لا ينبغى أن نترك الامر كله للصدفة ، اذ من الممكن أن نستكشف بعض ملامح هذه الحقيقة أو تتنبأ بها الى حد كبير ببعض الوسائل ونساعد فى عملية التكيف بها .

من هذه الوسائل استكشاف مدى قوة الدافع الجنسى عند الفتاة عن طريق مظاهرها التى تبينها لنا بعض الدراسات ، غير انه لا ينبغى الاعتماد عليها كلية أيضا .

ومن هذه الوسائل ، التقارب فى السن .

فالمتخصصون الذين يكتبون لنا فى هذه النقطة لايتفقون فى تحديد سن معينة وان كادوا أن يتفقوا فى

شيء واحد ، وهو أن تكون المرأة أصغر من الرجل لان الرجل يحتفظ بنشاطه حتى فى المراحل المتأخرة من عمره ولا سيما اذا كان محتفظا بصحته كما تستمر قدرته على الانجاب حتى فى شيخوخته ، أما المرأة فلا تنجب عادة بعد الاربعينات ، كما يقل نشاطها بسرعة بعد هذه المرحلة .

أما الفارق الكبير اذا كان الرجل مثلا فى منزلة الاب أو اذا كانت المرأة فى منزلة الام ، فهذا مما لاشك فيه يؤدى الى عدم التكيف ، وعدم التكيف هنا ، لابد من أن يؤدى الى أحد الامرين .. اما الى التفرقة ، وهو الغالب والاكثر ، واما الى عدم الانسجام والسعادة الزوجية ، وهو أمر محتم .

الوسيلة الثانية : الاتفاق فى قيمة موضوع الجنس وفى الاهتمام به أو عدمه .

فهناك من الناس من يقول انه كل شيء فى الحياة الزوجية ، ومنهم من يقول انه لا شيء ، والثالث يقول انه ليس كل شيء ، فلا شك ان الاول مبالغ ، والثانى فاقد لهذا الدافع ، والثالث هو المعتدل ، على أى حال لايهمنا قول هذا وذاك بقدر ما يهمنا أن يتفق الطرفان فى مدى الاهتمام بهذا الموضوع مبدئيا لان الاهتمامات تدفع الى الافعال والتطبيقات ، فاذا اهتم أحدهما به بكثرة ، واهتم به الآخر بقلة ، فلا شك انه عندما يطلبه المهتم بكثرة لا يستجيب له المهتم بقلة ، عند ذلك يحصل الخلاف والنزاع والصراع النفسى .

وسواء كانت قلة الاهتمام ناتجة عن قلة الدافع أو عن كثرة الاهتمام بموضوعات الحياة الاخرى ، فانه على أى حال يؤدى الى عدم التكيف اذا لم يكن هناك اتفاق

وينبغى ان يعلم هؤلاء الذين يجعلون الجنس كل

هدفهم من الحياة الزوجية ، أنه بالاضافة الى عدم اتفاق هذه النظرة مع نظرة الاسلام الى الزواج وأهدافه منه ، فسوف تؤدى الى الفشل فى الحياة الزوجية فى النهاية ولو اتفقوا مبدئيا فيها ، لانها مخالفة للحقيقة ، والمخالفة للحقيقة لا تدوم بدوام الحقيقة ، فقد روى احد الكتاب قصة امرأة كانت تعيش مع زوجها هادئة وكانت علاقتها معه عادية حتى اذا ما قرأت يوما كتابا من كتب هؤلاء الذين يبالغون فى هذا الموضوع ويرسمون الطرق للوصول الى قمة السعادة ، بدأت تهتم بهذا الموضوع اهتماما كبيرا ، وبدأت تحاول تطبيق طرقهم للوصول الى قمة السعادة ، حتى نشأ النزاع بينهما ، وأدى الى التفرقة والحرمان من كل السعادة ، وهكذا ينقل هؤلاء الناس من حياتهم المطمئنة باسم قمة السعادة الى قمة الشقاء .

الوسيلة الثالثة : عدم اختيار المريضة

ويمكن تقسيم الامراض المتعلقة بهذا الموضوع الى قسمين :

الاول : الامراض المستعصية والمخلة بالحياة الزوجية ، وهذه الامراض قد تكون وراثية فى أسرة الفتاة فيجب الابتعاد عن مثل هذه الفتاة ، وقد تكون غير وراثية ، الا أنها أصبحت مستعصية على العلاج ، هذه الامراض تخل بالحياة الزوجية وتؤدى الى عدم التكيف فيها ، ولهذا يجب الابتعاد عن فتاة مصابة بأحد هذه الامراض

القسم الثانى : من الامراض ما لايسمى بالامراض بمعنى الكلمة ، وانما هى عبارة عن حالات عرضية تكون سببا لعدم التكيف مثل بعض الامراض النفسية ، ومثل ضعف الصحة الناتج عن قلة الاغذية اللازمة ،

ومثل البرود الجنسى الذى ينشأ اما عن حالات نفسية أو عن حالات بيولوجية ، هذا القسم من الامراض يمكن معالجته ، وقد تمكن علمـاء النفس من علاج كثير من الامراض النفسية ، ولا سيما الامراض المتعلقة بهذا الموضوع ، كما تمكن الاطباء من معالجة الامراض الاخرى

والذى أريد أن أنبه اليه هنا انه يحصل هناك أحيانا بعد الزواج مباشرة عدم التكيف لسبب من هـذه الاسباب قد توجد عند أحد الطرفين أو كليهما ، فى هذه الحالة لا ينبغى أن يقدم الزوج على الافتراق لمجرد احساسه بعدم التكيف ، اذ ان هذه الحالات يمكن معالجتها كما قلنا ، فيجب أن يسرع الى الطبيب قبل أن يسرع الى الافتراق أو الطلاق .

وأخيرا ينبغى أن يعلم الزوجان شيئا هاما ، وهو انه كلما اتسعت مجالات الاتفاق زادت القدرة على التكيف، وزادت رقعة السعادة الزوجية ، ولا سبيل الى هـذا الا اختيار شريكة للحياة تتفق معهـا فى أوسع مجالات الحياة المستقبلة لان الاستعداد للشىء كثيرا ما يخلق هذا الشىء اذا صحت النية والعزيمة وصدقهما العمل المخلص .

**معرفة كل من الطرفين للآخر معرفة جيدة :**

وهـذا مهم جـدا لانه عندما يعرفها معرفة جيـدة يستطيع أن يقرر مصير الحياة الزوجيـة الى حد ما ، فاذا قبلها مع ما فيهـا من صـفات ، فمعنى ذلك انه مستعد لتحملها وتقبل ما يقع منها من سلوك أو يتحمله على الاقل ، وينبغى ألا يخفى كل منهما طبيعته وما فيه من رغبات وميول وأهداف لان الذى يخفى ما عنـده فى هذه الحالة ويظن انه يخدع صـاحبه ، انما يخدع نفسه لانه قد يجد بعد الزواج صفة من هذه الصفات

التى أخفاها ، لا يمكن تحملها ،وبالتالى يؤدى الى التفرقة . وهنا لابد من التمييز بين الصفات الاساسية والصفات الثانوية أو الشروط الضرورية وغير الضرورية بالدرجة الاولى .

فالاولى هى عبارة عن صفات لابد منها لدوام الحياة الزوجية أو الصفات التى يجب ألا توجد أبدا والتى لايمكن استمرار الحياة معوجودها بأى حال من الاحوال.

والثانية هى الصفات التى يستحسن أن توجد أو الا توجد ، وتمكن الحياة بوجودها أو عدم وجودها مع الضيق أو مع شىء من التحمل والصبر .

وهذه الصفات تختلف من شخص الى آخر ، وليس هذا بمهم ، ولكن المهم أن يعرف كل صفاتها ، وأن يعرف ماهو أساسى منها وما هو ثانوى فى عملية الاختيار

ولكن ليس معنى ذلك انه لا توجد صفات مرغوبة وأساسية مشتركة بين الناس جميعا ، فهناك قيم مشتركة بين الناس ولا يمكن أن تستقيم الحياة لا فى البيت ولا فى المجتمع بدونها ، مثل الصدق واحترام الامانة والعهود ، واحترام الحقوق والمشاعر الانسانية ، فكيف يعيش الانسان طول الحياة مع الكذابة الخادعة الفاحشة التى لا تراعى ذمة ولا عهدا ولا شعورا للانسان الى آخر هذه الصفات ، وكيف يحيا الانسان اذا كان شريكه مصابا بالامراض الخبيثة والمستعصية مثلا ؟..

اذن ، فمن مفاتيح كشف حقيقة الآخر ، المفتاح الخلقى ، فاذا عرفنا معاملة الشخص الآخر ومدى ما يتصف به من أخلاق حميدة أو رديئة نستطيع أن نتنبأ بما تكون عليه أخلاقه معنا فى المستقبل ، فاذا رأيت انسانا يكذب فى مجالات حياته المختلفة فلا تقترب منه ، لان الذى يكذب هناك يكذب هنا أيضا ، والذى

يخدع الناس يخدعك أيضا ، والذى يسيء الى الناس يسيء اليك يوما ما ، فمهما ربطت بينكما الروابط ، فسيىء الاخلاق هنا سيىء الاخلاق فى كل مكان وفى كل زمان ،. فالاخلاق السيئة كالرائحة الكريهة تفوح منه أينما ذهب وحيثما حل ، والاخلاق الحسنة كالمسك ، تفوح منه الرائحة العطرة أينما كان ، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، عندما دعى الى مصاحبة الصالحين : « انما مثل الجليس الصالح ، والجليس السوء ، كحامل المسك ، ونافخ الكير (١) فحامل المسك اما أن يجزيك ، واما أن تبتاع منه ، واما ان تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة » (٢) .

وأخيرا ينبغى أن يلاحظ انه قلما يجد الانسان الشخص الذى يتحلى بجميع الصفات التى يرغب فيها لان الانسان المثالى يكاد أن يكون وجوده مستحيلا ، فالكمال المطلق صفة الخالق لا صفة المخلوق . .

كما ان كلّ شاب يبحث عن الفتاة المثالية التى يتخيلها ، ولكن قلما يجدها ، ولهذا فينبغى ألا نبحث عن الفتاة المثالية من الدرجة الاولى ، وانما ينبغى أن نبحث عن الفتاة التى تتمتع باستعدادها للتكامل ، والاتصاف بالصفات المثالية التى ترغب فيها وألاستعداد لتغيير صفاتها غير المرغوبة ، وعاداتها غير السليمة ، فالاستعداد للتكامل والتفاهم يؤدى الىالتكامل والتفاهم وينبغى أن يبحث كل من الشريكين عن الطريقة التى يستطيع بها تحقيق رغبات صاحبه بالصورة التى

(١) الكير جهاز النفخ للنار يستعمله الحدادون
(٢) التاج الجامع للاصول فى أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — عيسى الباب الحلبى جـ ٥ ص ٨٣

يريدها صاحبه لا كما يريدها هو ، وهـــذا يقتضي التضحية ببعض المصالح الشخصية ، وهذا ما لابد منه فى الحياة الزوجية لان التضحية من عوامــل نيل رضى الطرف الآخر .

وكل من الطرفين ينبغي أن يحاول أن ينـال رضى صاحبه وادخال السرور فى نفسه وأن ينسى تضحياته وجهوده فى سبيل الحياة الزوجيـة السعيدة ، ولان كلا منهما عندما يرى الآخر يضحى من أجله يزيد حبه له ، وكلما زاد حب كل منهما للآخر زادت بهجة حياتهما وسعادتهما ، اذ ان أساس السعادة هو المحبة وأساس المحبة هو الشعور بالرضى والتقبـل لكل شيىء وأن يهنأ المرء بالعطاء كما يهنأ بالاخذ ، فالمحبة تسهل الصعاب والعمل النابع من القلب لا يترك أثرا للتعب فى النفس .

هذا ولقد بين الاسلام صفات الزوجة الصالحة التى ينبغى أن تختار لبناء البيت الاسلامى .

**فأول هذه الصفات أن تكون مسلمة :**

وان كان الزواج جائزا بالكتابيـــة ، الا انه غير مستحسن ، وقد كرهه العلماء ما دام هناك مسلمة ، لان الكتابية خطر على عقيدة الطفل وتربيته فى المستقبل اذ لا يؤمن جانبها فى تغيير وتبديل دين ولدها اذا أتيحت لها الفرصة يوما ما ، ولا أمل فى سعادة البيت ما دام فيه أب مسلم وأم غير مسلمة ، وكيف تجتمع عقيـدتان متغايرتان فى فراش واحـــد ، ولا يؤدى الى النزاع والخلاف ، وأما غير الكتابية التى لا تؤمن بأى رسالة من الرسالات السماوية أو لا تدين بها فلا يجوز نكاحها بالاجماع لقوله تعـالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خـير من مشركة ولو أعجبتكم ولا

تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم » (١) ، وفى آية أخرى : « لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » (٢) لانها تود أن تنتشر عقيدتها وعاداتها فى البيت وهى تخالف عقيدة الاسلام وتعاليمه كليا وجزئيا ، والزوج يريد تربية أبنـــائه بالتربية الاسلامية عند ذلك يحصل الخلاف وتتضـارب الآراء والاتجاهات وهذا بدوره يؤدى الى فساد حياة البيت.

## الثانية : ألا تكون من القريبات المحرمات من ذوى الارحام

وقد ذكرت الآية اللاتى لا يجوز نكاحهن ، قال تعالى : « حرمت عليكم أمهـاتكم وبنـاتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنـات الاخ وبنـات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضـاعة وأمهـات نسائـكم وربائبـكم اللاتى فى حجوركم من نسـائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما » (٣) .

## الثالثة : الا تكون مخطوبة للغير :

فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم ـ الرجل عن ان يخطب على خطبة أخيه ، فقال ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ونهى النبى أن يبيع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يتركها الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب ، وهذا مما تجب مراعاته لانه يثير الفتن والاحقاد بين المسلمين .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢١ (٣) سورة النساء آية ٢٣

(٢) سورة الممتحنة اية ١٠

## الرابعة : أن تكون ذات دين :

وجاء وصف ذات الدين فى الآية كالآتى ، قال تعالى : « عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن : مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا » (١) .

ولقد بين الله تعالى صفات المتدينين والمتدينات فى آية أخرى بقوله تعالى : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » (٢) .

وكل هذه الصفات السابقة تدور حول ثلاث صفات رئيسية ، الاولى : الايمان الكامل الشامل بجميع ما جاء به الاسلام من العقائد ، والثانية : الخضوع للاسلام وأداء العبادات المفروضة ، والثالثة : التخلق بالاخلاق الحميدة .

وقد جعل الاسلام التدين المعيار الاول فى اختيار الزوجة والصفة الاساسية فى هذا الاختيار لانه بذلك يشجع الناس على التدين ولان الدين الاسلامى قد جاء بجميع المبادىء الانسانية الفاضلة والقيم الخلقية والاجتماعية السليمة ، ولا يمكن أن تستمر الحياة الزوجية وسعادتها وأن يكون البيت بيتا اسلاميا حقا بدون أن تتصف المرأة بتلك الصفات وتتحلى بتلك القيم الاخلاقية النبيلة ، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه

---

(١) سورة التحريم اية ٥
(٢) سورة الاحزاب آية ٣٥

وسلم : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لاموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات الدين أفضل » .

وقال أيضا : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » ولا ينبغى أن يفهم من هذا الحديث ان الاسلام لايعترف بطبيعة الاحساس الانسانى وميله نحو الجمال والجاه والمال ، فهذه من الامور المرغوبة أيضا لان المرأة اذا لم تكن جميلة تقل رغبة الزوج فيها ولا يرتدع بصره عن غيرها ، ولهذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين سئل : أى النساء خير ؟.. قال : « من اذا نظرتها سرتك ، واذا أمرتها أطاعتك ولا تخالفك فى نفسها ومالك فيما يكره » . وكذا المال له أهمية فى اقتصاد البيت والانسان يحب ان يكون أولاده أغنياء كما يحب أن تساعده زوجه فى نفقة البيت وقد يقصد الانسان الحسب والنسب ليرفع من مكانة البيت ، كما ان الاحساس بالشرف وبالحسب يدفع الى التزام الشرف

وانما كل ما اراده الاسلام أن تكون صفة التدين الصفة الاساسية وأن تكون الصفات الاخرى الصفات الثانوية ولا مانع من الجمع بينهما بعد توفر الصفة الاولى ، بل هذا أفضل .

**الخامسة : ان تكون ولودا اى غير عقيم :**

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « سوداء ولود خير من حسناء عقيم » وليس معنى ذلك ان الزواج بالعقيم لا يجوز شرعا ، وانما ذلك غير مرغوب ، لان كل انسان يرغب فى أن يكون له ولد ، عاجلا أو آجلا ،

وربما يطلبه بعد فوات الفرصة فيندم على فعلته ويقدم على زواج آخر ، ولان الانجاب ـ كما قلنا ـ من أهداف الزواج فى الاسلام .

**السادسة : أن تكون الفتاة من أسرة غير أسرته ..**

ولقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالابتعاد عن الاقارب فى اختيار الزوجة فقال : « اغتربوا لا تضووا ، أى لا تهزلوا ولتصبحوا أقوياء » .

ولقد ذكرنا سابقا هدفا من أهداف الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك ، وهو اقامة صلات بين المسلمين وتأليف الروابط الجديدة بين الاسرة والقبائل ، زد على هذا ان الرغبة تقل فى الزوجة ان كانت من القربى ، والهدف الثانى الاساسى هو تقوية النسل أو تحسينه . ولقد قرر كثير من علماء تحسين النسل ان ضعف الذرية وانحطاط قدرتها العقلية يرجع فى كثير من الاحيان الى عامل الوراثة ، وكلما كانت الزوجة ذات قرابة أوثق ظهر أثر الوراثة أكثر ، والسبب فى ذلك أن جميع الصفات والاستعدادات السيئة فى الاصول القريبة تنتقل الى الذرية والاعقاب .

وهذه الظاهرة قد تشاهد بشكل ملحوظ فى أبناء الاسر والقبائل المتعصبة الذين لا يتزوجون من غيرهم ولا يزوجون .

ويجب أن يلاحظ أيضا ان الابتعاد ليس قاعدة مطلقة اذ قد تكون الاسرة الاخرى أكثر ضعفا فى القدرات العقلية والجسمية منها ، وفى هذه الحالة فلا شك ان الذرية تأتى أضعف من ذرية الاسرة نفسها ، ولهذا عند الابتعاد عن الاسرة ينبغى أن تختار الاسرة الاقوى منها فى هذه القدرات حتى تكون الذرية الجديدة

احسن من ذرية الاسرة نفسها ، وكلما كان الطرفان اكثر قدرة واصح جسما أدى ذلك الى ذرية اكثر قدرة وأصح جسما . ولا تنس هنا شيئا وهو أن الزواج من ذات القربى قد يكون برا اذا لم يكن هناك من ينفق عليها .

## السابعة : أن تكون بكرا :

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله « أتزوجت بكرا أم ثيبا ؟ » فقال : « ثيبا » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « مالك والعذارى ولعابها » (١) وفى رواية « أين أنت من العذارى ولعابها » .

ولعل الهدف من تشجيع زواج البكر هو تشجيع الفتيات على الطهارة والعفاف وحفظ الاعراض . ولا شك ان زواج البكر ينقذ الانسان من الشكوك فى وجود الامراض الزهرية واختلاط الانساب وعفاف الفتاة ، وهذا له دور كبير فى الاستقرار النفسى .

هذا ولقد لخص الرسول صلى الله عليه وسلم أهم صفات الزوجة الصالحة حين قال : « ان خير نسائكم الولود الودود الستيرة والعفيفة العزيزة فى فعلها الذليلة مع بعلها المتبرجة مع زوجها الحصان عن غيره التى تسمع قوله وتطيع أمره واذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ولم تتبذل له تبذل الرجل » (٢) .

---

(١) البخارى باب نكاح الثيبات ، رواية ادم شعبة من محارب .
(٢) مكارم الاخلاق للطبرسى ، ص ١٥٥ . ومعنى الستيرة متحفظة حيية محتشمة والذليلة طيعة . والتبذل خشونة الطبع .

## اختيار الزوج الصالح

وعلى الآباء والامهات أن يختاروا لبناتهن أزواجا صالحين متدينين ومتخلقين بخلق الاسلام وآدابه ، وينبغى أن تكون هذه الصفة هى الصفة الاساسية فى الاختيار قبل المال والجاه ، فالفقير صاحب الاخلاق غنى ، والفاسد الغنى فقير .. ذلك ان الفاسد قد يضيع ماله بين يوم وليلة فى القمار والشراب والنساء .. وكما يضيع ماله ، تضيع صحته فى السهرات ، ويضيع عقله بشرب الخمور ، ويضيع حق الزوجة أيضا ، وأثر هذا لا يقتصر على حياتهما بل يؤثر على حياة أولادهم وصحتهم

بل أكثر من هذا طلب الاسلام من الآباء أن يعرضوا بناتهم لمن يرون فيه الصلاح والتقوى ، فقد عرض الرسول صلى الله عليه وسلم ابنته على على ، وعرض عمر ابنته على عثمان وأبى بكر ، وليس فى ذلك عيب ، بل هو أمر شرعى ، فنحن ينبغى أن نستحى مما يستحى منه ، لا مما ينبغى أن نفعله ، ولا حياء فى تطبيق الامور الدينية ، بل الحياء فى المحرمات ، وليس على الآباء أن يعرضوا بناتهم على من يرون فيهم الخير فقط ، بل على النساء أن يعرضن أنفسهن على من يرون فيهم الخير بطريق مباشر أو غير مباشر .

فقد جاءت امرأة يوما تعرض نفسها على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم : ما أقل حياءها وا سوأتاه وا سوأتاه ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : هى خير منك ، رغبت فى النهى فعرضت عليه نفسها (١) .

---

(١) البخارى باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ــ رواية ثابت البنانى عن أنس .

ان مسألة الزواج مسألة مهمة جدا لانها مسألة الحياة ، وانها تهم المرأة اكثر من الرجل ، لان الطلاق بيد الرجل اذا لم تعجبه الزوجة يطلقها ، والمرأة لا تستطيع ذلك ، كما ان الطلاق يؤثر على المرأة أكثر من الرجل من الناحية الاجتماعية ، اذ ان الناس عادة يسيئون الظن بالمرأة فى هذه الحالة أكثر من ظنهم بالرجل ، والعار يلحق بالمرأة أكثر منه ، حتى فى حالات الافتراق قبل الزواج وبعد الخطوبة .

ولهذا نبه الرسول صلى الله عليه وسلم الآباء الى حسن الاختيار ، فقال : « فلينظر احدكم أين يضع كريمته » وقال أيضا ما معناه : « فليلتزم الآباء جانب الاناة والحذر والحيطة ليبعدوا بناتهم عن الشرور والمشاكل » .

وكما أعطى الاسلام حق الاختيار للرجل ، فقد أعطى نفس هذا الحق للمرأة أيضا وهذا حق طبيعي باعتبار انها انسان ، وباعتبار انها ستصبح زوجة تتحمل مسئوليات كما يتحملها الزوج وكيف تقضى المرأة حياتها فى بيت اكرهت عليه مع رجل تنفر منه وتشمئز ، أجبرها أبوها وارغمها لغرض من اغراضه هو دون رعاية لشعورها واحساسها .

ولهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اكراههن على النكاح ، فقال : « لا تنكح الايم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن » قالوا يا رسول الله كيف اذنها ؟ ـ اى البكر ـ قال : « أن تسكت » .

ومن أجبر امرأة على النكاح يفسخ هذا النكاح ويرد اكراما لشخصيتها وحفاظا على كرامتها واقرارا لمكانتها فقد روى ان خنساء بنت خدام وكانت ثيبا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت له ان أباها زوجها

لرجل تكرهه ولا تميل اليه ، فرد الرسول صلى الله عليه وسلم زوجها ، وجاءت فتاة يوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ان أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته ، فخيرها الرسول صلى الله عليه وسلم بين أن تجيز هذا الزواج أو تبطله ، فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ، ولكن أردت أن أعلم النساء ان ليس للآباء من الامر شيء ...

وهنا وقع الخلاف بين العلماء فيما اذا زوجت الابنة البالغة بغير اذنها من قبل وليها ، فقد منع أبو حنيفة هذا الزواج واعتبر العقد باطلا ، وأجازه باقى أصحاب المذاهب كالشافعى ومالك وابن حنبل . وأما الثيب البالغة فمتفق فيها على عدم جواز نكاحها الا بأمرها .

وكذلك وقع الخلاف فيما اذا زوجت الثيب أو البكر البالغة نفسها بغير اذن وليها ، فأجازه أبو حنيفة وقد استدل بالاحاديث السابقة وغيرها ، أما باقى أصحاب المذاهب فلم يجيزوه استنادا الى حديث : « ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل » .

وقد أنكر أبو حنيفة صحة هذا الحديث واتهمه بالضعف ، ورأى أبو حنيفة ان المرأة البالغة اذا وضعت نفسها فى موضع سليم فى الزواج فنكاحها جائز طالما انها بصيرة عاقلة تدرك مصلحتها ، وطالما ان لها حرية التصرف فى مالها وفى التجارة فتبيع وتشترى ، فلماذا اذن نمنعها حرية التصرف فى نفسها فتتزوج من تراه أنسب وترى انها تستطيع الحياة معه .

أما اذا لم تحسن التدبير والاختيار والادراك وما يعود عليها من خير أو شر ففى هذه الحالة يمكن للولى الاعتراض فيفسخ القاضى الزواج .

وهنا قد تحدث مشكلة معقدة فيما اذا اختار ولى أمرها رجلا ، واختارت هى رجلا آخر ، وكل منهما يصر على اختياره ، ففى هذه الحالة يحتكم الى القاضى والى أهل الرأى ويحكم العقل الحصيف . فما دامت عند المرأة ملاحظة دقيقة وبصيرة وادراك تستطيع فهم شخصية الرجل ونفسيته ، واذا رأت انها ان تزوجت به يمكنها ان تدبر شئون البيت وتحيا معه فى السراء والضراء ، فلماذا نمنعها عن تنفيذ ارادتها ونجعلها رقيقا لا شخصيــــة لهــا ، ولا ارادة ، بل ان تحمــل المرأة مسئوليتها بنفسها وتقرير مصيرها فى الحياة بارادتها وبصيرتها ربما يدفعها الى تحمل أعباء الحيــاة والصبر فيما اختارته أكثر مما لو اختار لها ولى أمرها حيــاة معينة وزوجا معينا . ولا ينبغى ان نفهم من هذا الغاء حق ولى الامر اطلاقا على المرأة البالغة العــــاقلة ، اذ وردت أحاديث كثيرة من جهات مختلفة كلها تثبت حق الولاية ولا خلاف يذكر بين العلماء فى هذا الحق وانما الخلاف فى الدرجة ومدى شرطية هذه الولاية فى صحة العقد هل هو شرط كمال ، أم شرط صحة ؟ ..

ويتضح من خلال عرضنا للآراء حول الحالة الاخيرة ان أبا حنيفة لا ينكر حق الولاية ، وانما يرى انها شرط كمال ، لا شرط صحة . وهــذا ــ كما يبدو ــ أكثر اعتدالا وتقديرا لشخصية المرأة ولروح الشريعة .

## ضرورة رؤية كل من الطرفين للآخر :

ولكى يستطيع أن يفهم كل من الخــاطب والمخطوبة شريكه ويتفاهما على نوع الحياة التى يرغبانها ، أجاز الاسلام التحدث والنظر الى المرأة ، وللرجل أن ينظر منها الى ما هو ضرورى أن ينظر اليه ، فقال الرسول

صلى الله عليه وسلم : « اذا خطب أحدكم المرأة ، فان استطاع أن ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » (١)

وروى ان المغيرة بن شعبة خطب امرأة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » (٢) .

وهذا أمر ضرورى حتى لا يفاجأ أحدهما ، أو كلاهما بصفة فى صاحبه ما كان ينتظرها منه أو لايحب أن تكون فيه فتظلم عليه الدنيا وتتراكم فوقه سحبها السوداء قاتمة لا تتركه أينما حل وحيثما ذهب فيشعر بضيق كأنه وضع نفسه فى سجن ، كما حدث مثل ذلك لامرأة ثابت بن قيس ولم تكن قد رأته قبل ليلة الزفاف وتحدثت عن سبب نفورها منه وارادتها الافتراق عنه ، فقالت للرسول صلى الله عليه وسلم : « رفعت جانب الخباء فى ليلة الزفاف فأقبل فى عدة من الرجال فاذا هو أشدهم سوادا ، وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها ، وبى من الجمال ما ترى ، ولست أعتب عليه يا رسول الله فى خلق ودين ، ولكنى أكره الكفر فى الاسلام ، يعنى اذا لم يطلقها يخاف من الارتداد عن الاسلام حتى يفرق بينهما . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لثابت : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة .. وكان صداقها الحديقة . فما كان سبب افتراقهما الا عدم الرؤية ، فلو انها قد رأته قبل ذلك لما كانت قبلت الزواج منه ، ولما حدث ما حدث ، أو كانت قد قبلته على ما هو عليه فلم يكن لها عذر فى طلب الافتراق .

---

(١) التاج الجامع الاصول لاحاديث الرسول ـ باب ما ينبغى النظر الى المخطوبة ٢٨٤

(٢) التاج الجامع الاصول لاحاديث الرسول باب ما ينبغى النظر للمخطوبة ص ٢٨٤ .

لذا ، فعلى من يريد الزواج ويقصد من ورائه بناء بيت اسـلامى أن ينظر ويدرس فلا يغفل سـببا من الاسباب التى يمكن أن تؤدى فى المستقبل الى نزاع أو خلاف يهدد البيت ويزلزل كيانه ، وهـذا كله ليكون بناء الاسرة على أسـاس متين يبقى مدى الحيـاة قويا مليئا بالسعادة والهناء .

***

وبعد ، قبل أنهاء هذا الموضوع أرى ضرورة التعرض هنا لمسألتين لهما دور فى بناء البيت الاسلامى ، وهما مسألة زواج الصالح المعسر ، ومسألة المهر . أما فيما يتعلق بالاولى فقد علمنا فيما سبق ان الاسـلام أمر الفتى باختيار الفتاة الصالحة ، كما أمر الفتاة وأولياءها باختيار الفتى الصالح ، أو بتعبير آخر ، أمر الرجال باختيار الصالحات ، كما أمر النساء باختيار الصالحين

وقد ذكرنا حديث الرسـول صلى الله عليه وسلم ، الذى يأمر اولياء الامور بتزويج الصالحين ، اذ قال : « اذا خطب أحدكم من ترضون دينه ، وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد » (١) لانهم اذا لم يعطوا بنـاتهم للصالحين فسيعطونهن للفاسـدين ، والفاسدون ــ كما قلنا ــ يفسدون كل شىء ، وبذلك يكون الآباء بوجه خاص وأولياء الامور بوجه عام ، سببا لفساد الارض ، ولكن تزويج الصالح قد يتطلب احيانا بعض التضحيات والتخلى عن بعض المصالح وذلك يمكن أن يظهر بصورة واضحة فى الامور الاتية :

الإمر الاول : اذا تقدم اثنان كلاهما من مسـتوى واحد فىالنواحى الاقتصادية والاجتماعية

---

(١) التاج الجامع للاصول فى أحاديث الرسول جـ (٢) باب الزواج المحمود ص ٢٤٨

ولـكن أحدهما صالح والآخر طالح ، فينبغى أن يختاروا الصالح على الطالح .

الامر الثانى : يكون عن طريق تخفيف المهور ، فقد يكون الطالح غنيا ، والصالح فقيرا ، ويعطى الاول من الصداق ما لايعطيه الثانى ، فعليهم أن يعطوا الثانى دون الاول ، بالرغم من قلة ماله .

الامر الثالث : يكون عن طريق تزويج المعسر ، فى هذه الحالة قد لايملك الفقير الصالح شيئا من الصداق ، ولـكن أولياء أمور المرأة يملـكون كل شىء ، أو ميسرون على الاقل يستطيعون أن يدفعوا تكاليف الزواج ، فعليهم أن يتحملوا هذه التكاليف ، ويزوجوا هذا الانسان الفقير الصالح ، قال تعالى : « وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » (١) .

والفقير اليوم قد يكون غنيا غدا ، والغنى اليوم قد يكون فقيرا غدا ، وقد روى ان امرأة جاءت الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، تعرض نفسها للزواج فقال أحد الصحابة : « يا رسول الله ان لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها » ، فقال : «وهل عندك من شىء ؟ » قال : « لا » والله يا رسول الله ، فقال : «اذهب الى أهلك فانظر هل تجد شيئا»

---

(٢) سورة النور رقم ٣٢

فذهب ثم رجع ، فقال : « لا والله ما وجدت شيئا » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انظر ولو خاتما من حديد » فذهب ثم رجع ، فقال : « لا والله يا رسول الله ، ولا خاتما من حديد ولكن هذا ازارى » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء ، وان لبسته لم يكن عليك شيء » فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا ، فأمر به فلما جاء قال : « ماذا معك من القرآن » قال : « معى سورة كذا وسورة كذا عددها » فقال صلى الله عليه وسلم : « تقرؤهن عن ظهر قلبك » قال : « نعم » قال صلى الله عليه وسلم : « اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن » (١) .

وأما فيما يتعلق بالمسألة الثانية ، وهى مسألة المهر أو الصداق ، فان البيئات ، وبعض الاسر تستغل هذه المسألة استغلالا سيئا يعود ضرره عليهم وعلى غيرهم بطريق مباشر أو غير مباشر ، فينبغى أن نناقش معنى الصداق وما مقداره وما حكمه ، وهل ما يفعله المسلمون اليوم يتفق مع ما فى الاسلام أم لا ؟ ..

فالصداق هو مايعطيه الرجل للمرأة عند الزواج بناء على اتفاق الطرفين عند العقد أو الخطوبة ، ويسمى

---

(١) البخارى ـ باب تزويج المعسر ـ رواية قتية عن سهل بن سعد الساعدى .

هذا المال مهرا أو صداقا وفريضة وصدقة ونحلة .

ان مسألة الصداق مسألة مشروعة فى الاسلام لا يختلف فيه أحد ، قال تعالى :« وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » وقال أيضا : « لا جناح عليكم أن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة » وقد ذكرنا حديث الرسول السابق ، انه زوج رجلا بامرأة بسورة من القرآن ، لكن ما حكم هذه المشروعية ؟ ..

هناك رأيان : رأى يذهب الى ان الصداق واجب ، ولا يتم العقد بدونه ، أو بدون تسميته ، وهذا الرأى مفضل عندى ، والرأى الثانى : يذهب الى انه هبة من الزوج أو من الله على خلاف ، وبناء على هذا الرأى يصح العقد بدون تسميته أو بدونه .

ولكن ما مقدار الصداق لجواز العقد ؟ ..

يوجد هنا رأيان : رأى يذهب الى أنه غير مقدر ، لا أقله ولا أكثره ، ويؤيد هذا الرأى الآيات والاحاديث السابقة ، لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « التمس ولو خاتما من حديد » بل أقل من ذلك جعل الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة بعض السور من القرآن عن ظهر غيب صداقا ، وكذلك أكثره غير مقدر

الرأى الثانى : يذهب الى أن أقله مقدر ، وأن اكثره غير مقدر وقد اختلف القائلون بهذا الرأى فى أقل الواجب ، فحدده أبو حنيفة ومالك بعشرة دراهم ، وحدده ابن شبرمة بخمسة دراهم ، والنخعى بأربعين درهما ، وزاد بعضهم الى خمسين ، الا ان الرأى الذى استريح اليه ــ كما قلت ــ هو الرأى الاول .

واذا كان الاسلام قد ترك حرية تحديد مقدار الصداق قلة أو كثرة للآباء ، فهل معنى ذلك انه يترك

للاباء هذه الحرية يرفعون قيمة المهور ويثقلون كاهل طالب الزواج بالديون دون أن يشجعهم على الفضيلة بتقليل المهور حتى لا يعوقوا الطريق أمام المتزوجين ، والحقيقة ان الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بعدم المغالاة فى المهور ، فقال : « أعظم النساء بركة أيسرهن مئونة » أما اذا أراد الرجل إن يعطى أموالا كثيرة صداقا للمرأة فهذا جائز ، وكذلك يجوز للمرأة أن تطلب ما شاءت من الصداق وليس فى ذلك شىء ، ولا سيما اذا كان الرجل غنيا وأعطاها عن رضى من غير اكراه .

هذا وذاك جائز ومشروع ، غير ان المشروعية شىء ، والافضلية شىء آخر ، فأخذ الحق حق ، والتجاوز عنه فضيلة .

على أى حال ، فان هذا وذاك جائز ، الا ان هناك شيئا واحدا غير جائز والاسلام لايوافق عليه ، وهو أن يأخذ الآباء خلو الرجل من بناتهم ، أى أن يطلب الاب أو أولى أمرها ثمنا معينا ليس من الصداق ليوافق على الزواج فاننى أعتبر هذه المسألة أبشع من خلو الرجل ، لانه اذا كان خلو الرجل استغلالا ، فهذا استغلال واهدار لقيمة الانسان . اما من حيث الاستغلال فانه أولا يأخذ شيئا من غير مقابل ، والمعطى مكره فى العطاء لا بطل ، فكأنه يتاجر بشىء لا يجوز أن يتاجر به ، أو بعبارة أخرى انه عملية تجارية من غير مقابل ، والتجارة من غير مقابل عمل باطل فى الاسلام ، ثم ان هناك بعض الآباء عندما يرون المقدم على زواج بناتهم قد وقع فى حبالها او فى حبها او قد يوقعونه هم لأنفسهم بوسائل شيطانية ، عند ذلك يطالبونه بما لا يطيق أو بأثمان باهظة وهو لايستطيع الامتناع لانه وقع فى شباك الحب التى لا مخرج منها .. هذه العملية تعتبر استغلالا

من جهة ، واغتصابا من جهة أخرى ، وان كانوا يظهرون هذا الاستغلال وذلك الاغتصاب فى صورة مشروعة .

أما من حيث انه اهدار لقيمة الانســان ، فلأنهم فى هذه الحالة يبيعون بناتهم كبيع البقرة ، وقد لا ترضى البنت عن هذا ، ولا سيما اذا كانت ترغب فى خطيبها أو تحبه ، ولـكنها لا تملك شيئا وقد لا يحققون رغبتها اذا لم يحصلوا منه على مايطلبونه ويعطونها الى غيره الذى يحقق رغباتهم ، وقد تكون البنت كارهة اياه ، ولـكنها رغما عن أنفها تســاق الى بيت من غير رغبة ، كما يساق الحيوان

أليس هذا اهدارا لقيمة الانسانية ، قيمة المرأة ... قيمة الانســان ، وليس أى انســان ، بل هو أقرب انسان اليه يعتبر جزءا من لحمه ودمه .

ان كل ما يؤخذ من أجل المرأة عند الزواج ، يجب أن يعتبر من الصداق ، ويجب أن يصرف على المرأة ، لان الاسلام جعل الصداق تطييبا لشعور المرأة وتحقيقا لرغبتها فى الزينة والبهجة ، ان المرأة تميل الى الزينة والبهجة بطبيعتها ، فتحقيقا لهذه الرغبة أمر الاسلام الرجل أن يشترى لها من الزينة ما يسرها وتبتهج به وكهدية من الرجل اليها تطييبا لخاطرها وادخالا للسرور لنفسها ولتقوية الروابط بينهما .

ولهذا الغرض ينبغى ان تترك حرية تحديد مقــدار الصداق للفتاة ، أو بينها وبين فتاها ، لانهما صــاحبا الامر وطرفاه المعطى والآخذ والمهدى ، والمهدى اليه .

بقى شىء آخر فى هذا الموضوع ، وهو ان الاســلام اذا كان قد أوصى الاباء بتخفيف المهور ، حتى ولو كانت خاتما من حديد ، فان ذلك ليس على اطلاقه هذا الا اذا كان الخاطب يملك بيتا يأوى اليه ومصروفا يعيش به ، أو

كان والد الفتاة غنيا ينفق عليها ، أما اذا كان الفتى لا يملك مأوى ولا مصروفا ، وليس والد الفتاة موسرا يستطيع الانفاق عليهما ، ففى هذه الحالة ليس مطالبا بالتخفيف لانه بذلك يسوق بنتــه الى المهالك ، وكيف تعيش معه وأين تبيت ؟ .. أيبيتان فى الشــوارع وفى الزوايا كما نرى بعض المتزوجين ؟.. وماذا يكون مصير حياتهم ومصير حياة أولادهم ، فان التساهل فى هــذه الحالة جريمة فى حق الفتاة فى نظرى ، ولو وافقت هى فرضا لإنها تعتبر فى هذه الحالة غير عاقلة ولا يصح ان تزوج غير العاقلة نفسها الا بموافقة ولى أمرها وموافقة ولى أمرها فى هذه الحالة تعتبر جريمة فى حقها .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته ؟ » فاذا كان الابناء مسئولين عن تصرفاتهم بعــد البلوغ بمقــدار ادراكهم واحاطتهم الامور الحاضرة والمســتقبلة ، فان مسئولية الآباء عن تصرفات أبنائهم الخاطئة أكبر ، لان خطــأهم ناتج عن عدم ارشادهم ومساعدتهم لرؤية الحقائق ولان جماح الشباب والحب الاعمى قد يجعلان الانسان أعمى عن رؤية الحقائق والاخطار المحدقة به .

والخلاصة ، ان الاباء وأولياء الامور مسئولون عن تزويج أبنائهم ، فأب الفتاة ينبغى أن يختار لابنته زوجا صالحا أو أن يساعدها فى هذا الاختيار ، ثم عليه ان يبــذل من المال اللازم ان اقتضى الامر وكان قادرا على تزويج بنته ممن يرى فيه الصلاح .

وعلى أب الفتى كذلك ان يختار لابنه الزوجة الصالحة أو يساعده فى هذا الاختيار وأن ينفق عليه اذا اقتضى الامر وكان قادرا على هذا الانفاق .

# قداسة الروابط بين أفراد البيت

هـــذا هو الاســـاس الرابع والاخير فى تكوين البيت الاسلامى ، وهذا الاساس مهم أيضا ، ذلك ان الاسلام لايرى الزواج مجرد ارتباط لتحقيق مصلحة مادية أو مصلحة ضرورية للحياة المدنية فحسب ، بل انه ارتباط مقدس ، ارتباط روحي وتطبيق لمبدأ اسلامى .

ولهذا فقد وصف الله هـــذا الارتباط وهـــذه العلاقة بالميثاق الغليظ فقال تعالى : « وكيف تأخـــذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » (١)

وكذلك ارتباط الابناء بالآباء ارتباط دينى أولا وقبل كل شيء ، وهو بذلك ليس كأى ارتباط بين الناس ، وواجب الابنـــاء نحو الآباء ليس كأى واجب يقوم به الافراد نحو الافراد فى العـــلاقات العامة بين النـــاس ، فهذا واجب انسانى ، وذاك فوق هذا واجب دينى ، لذا قال تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه احســـانا حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير » (٢) .

هذا الواجب وصية الهية ، وقد قرن سبحانه وتعالى شكر الوالدين بشكر الله نفسه ، وكأنه سيحاسبه يوم القيامة عن مقدار شكره له بمقدار شـــكره لوالديه ،

(١) سورة النساء ٢١ (٢) سورة لقمان ١٤

وقد اعتبر الاسلام عقوق الوالدين من كبائر الذنوب ، روى ان الرســـول صلى الله عليه وسلم ، قال : « الا اخبركم بأكبر الكبائر ؟ » قالوا : « بلى يارسول الله » قال : « الاشراك بالله وعقوق الوالدين » (١) .

وتظهر اهمية هذا الاساس فى تماسك البيت وثباته ودوامه واستقراره وقد درس علماء الاجتماع فى تاريخ الاسرة فوجدوا انه لم يسد فيها الاســـتقرار والهدوء والثبات فى تاريخها كلها كما ساد ابان تأسيســـها على الاديان السماوية وتطبيقها مبادئها ، وما ذلك الا لان هـــذه الاديان تبنى البيت على اســـاس الدين وتعطى للروابط بين الافراد القداسة التى تربط بينهم بروابط الرحمة والمحبة . اما فى العصر الحديث ، فقـــد ادى ابتعاد الناس عن الاديان واستخفافهم برسالات السماء وعدم تمسكهم بمبادئها الى تفكك نظـــام البيت وتدهور الحياة الاسرية ، فقد اصبحت الروابط مجرد عقود مدنية، الهدف منها مجرد مصالح شخصية وقتية .

وبعد ، فاننا ننتهى من دراستنا فى هذا الفصل كله الى ان بناء البيت الاسلامى ، يجب أن يكون قائما على هذه الاسس الاربعة التى ذكرناها ودرسناها بالتفصيل

وانه لا يمكن أن يكون هـــذا البناء كما اراده الاسلام اذا لم يعتمد على هذه الدعائم الاربعة معا والا ســـيكون ناقص البناء أو غير قائم على اسس يجب أن يقوم عليها.

وان سبب تفكك البيوت وتصدعها بعد عام أو عامين من بنائها هو عدم قيامها على هذه الدعائم وعدم اعتبارها عند البناء انها اسس لابد منها .

فهناك من لا يعتمد عليها اطلاقا عند البنـــاء ومنهم من يبنى على واحد او اثنين فقط ، فكيف تدوم حياة

(١) صحيح البخارى ج ٨ ص ٤

البيت اذا كان مكون البيت قد اتخذ هدفه منه تحقيق مصلحته الفردية الانانية دون مراعاة مصلحة المجتمع وحتى مصلحة الزوجة • لاشك انه عندئذ يحاول تسخيرها لمصلحته دون أى اعتبار لمصلحتها واحترام شخصيتها .

واذا هى خضعت لهذا الوضع وتحملته يوما أو أياما فهل تطيق تحمله طوال حياتها ، كذلك اذا كان هدف الزوج الاساسى من الزواج هو مجرد متعة حسية لاشباع دوافعه الشهوانية دون أى اهتمام بالجوانب الاخرى من الحياة الزوجية بوجه خاص وحياة البيت بوجه عام فانه لاشك اذا ما أحس بعد الزواج بمدة قليلة أو كثيرة بعدم اشباع هذا الدافع بالصورة التى كان يتخيلها فانه ولا شك يقدم على طلاقها أو هدم هذا البيت دون أى اعتبار آخر .

وكذلك اذا لم يحسن اختيار شريكة فى الحياة تتفق معه فى الجوانب المادية والمعنوية من الحياة فهل يمكن أن تدوم عشرتهما ، واذا دامت لأمرما ، فهل يستطيعان أن يشعرا بالسعادة فى الحياة الزوجية بوجه خاص ، وحياة البيت بوجه عام ، وما قيمة هذه الحياة اذا لم يسترح بعضهما الى بعض فى النواحى الفكرية والروحية والشعورية والنظرة الى الحياة بوجه عام .

وأخيرا اذا لم تتم العلاقات فى البيت على أسس وروابط قوية ترتبط بالعقيدة وتلتحم بالايمان ، وبنيت على مجرد روابط مدنية ، ومصالح دنيوية وقتية الا تنقطع هذه الروابط اذا لم يجدوا ما كانوا يرجون من ورائها من المصالح ، او عند استنفاد أغراضهم هذه ؟

وهكذا نجد ان هذه الاسس كلها ضرورية ولازمة لا يستغنى عنها لبناء بيت سليم وهى كلها ترتبط بعضها ببعض بحيث لا يمكن فصل احدها عن الآخر •

الفصل الثانى

# تنظيم حياة البيت وإدارته فى ضوء الإسلام

يعتبر البيت أصغر وحدة اجتماعية ، وهو فى نفس الوقت يعتبر أهم مؤسسة اجتماعية يتكون منها افراد المجتمع ، فمؤسسة البيت ليست كالمؤسسات الاخرى تؤسس من أجل أهداف اقتصادية او ادارية ، وانما تؤسس من أجل صناعة الرجال وتكوين مجتمع سليم البنية قوى الشخصية ، ولكن البيت كمؤسسة لابد أن يكون له نظام ليؤدى دوره كما ينبغى ، هذا النظام لابد أن يكون متكاملا من الناحية الادارية والاقتصادية والتنظيمية والاجتماعية والتربوية باعتبار ان هدفه الاساسى هو التربية وتكوين الشخصية الانسانية المتكاملة .

واذا كان الامر كذلك فكيف نظم الاسلام البيت من هذه النواحى ..

ولنأخذ تنظيمه من الناحية الادارية ، فمن هو مدير البيت أو رئيسه ؟ وما هى حدود سلطاته والهدف من اعطائه هذه السلطة وما هو المبدأ الذى ينبغى أن يسير عليه ؟

ان من مبادىء الاسلام فى التنظيم الاجتماعى ان يكون لكل جماعة مدير أو امير مهما كانت كبيرة أو صغيرة ولو كانت تتألف من اثنين . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا خرج ثلاثة فى السفر أمروا أحدهم ، حتى الاثنان اذا خرجا فى أمر أمرا أحدهما » واذا كان يأمر بجعل أمير فى أصغر مجتمع او اصغر جماعة مهما كان الهدف من الاجتماع ، ومهما كانت مدة الاجتماع سواء كان قصيرا أو طويلا واذا كان يأمر باختيار أمير أو رئيس فى مثل هذه الجماعة المسافرة ، فكيف لا يأمر باختيار مدير لادارة شئون مجتمع دائم كمجتمع البيت طالما قد قدسه وقدس الروابط بين افراده وعظم الميثاق بينهم .

والرئاسة ضرورية لمجتمع البيت كى تدبر شئونه وتدبر كل ما يحتاج اليه وتدافع عن كيانه وتسوسه سياسة حكيمة عادلة وتقود أفراده قيادة رشيدة فيؤدى كل فرد واجبه كما ينبغى ، وتعطى كل ذى حق حقه وتعاقب المنحرف وتحل المشكلات لصيانة البيت من الزلل والتفكك وليحيا حياة هادئة مستقرة .

ولا شك انه لا يصلح كل انسان فى المجتمع لهذه الوظيفة اذ لابد أن يكون هذا الانسان قوى الشخصية نافذ البصيرة حكيما فى تقديره وتدبيره ، يضع الامور فى مواضعها ، لا تعميه عن رؤية الحقائق الظروف الشديدة وتعوقه عن استعمال الحكمة العواطف والمؤثرات النفسية والاعتبارات الشخصية ولا تزحزحه عن نياته القوى المضادة .

فنحن لا نسند القيادة عادة فى أى أمر من الامور الا لمن نرى فيه توفر هذه الصفات .

واذا نظرنا الى مجتمع البيت نرى الشخصين البارزين فيه هما : الاب ، والام ، باعتبارهما اساس هذا المجتمع .

ولا يمكن أن يكون فى مجتمع رئيسان أو مديران فى مستوى واحد من السلطة والمركز ، وليس هذا فى نظام المجتمع فقط ، بل فى نظام الكون أيضا ، وصدق الله العظيم : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » اى لو كان فى السموات والارض اله مع الله لفسدتا ، واختل نظام الكون العام

اذن لابد من أن يكون أحد الشخصين رئيسا ومديرا فى الدرجة الاولى من السلطة والمركز ، فأيهما احق بهذا المنصب ؟ .. ولماذا ؟ ..

اذا نظرنا الى رأى الاسلام فى تنظيم البيت واختيار رئيس له ، لتنفيذ هذا النظام وجدنا انه اختار الاب لهذا المنصب ، واختار الرجل بوجه عام فى الرئاسة على المجتمع الاسلامى الكبير .

قال تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم » (١) .

وقال أيضا : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم » (٢) .

والتفضيل فى الآية الثانية وان كان مقيدا فى مجال الطلاق واعطاء حق الرجعة للرجل ، فقد اعطاه على كل حال حقا زائدا للرجل وهو حق الطلاق والرجعة وهذه درجة فى السلطة اعطاها للرجل ولم يعطها للمراة .

لا ينبغى أن نكون هنا من المتطرفين فى الميل الى جانب الرجل ولا فى الذهاب مع المراة ، وانما يجب أن ننظر

(١) سورة النساء اية ٣٤
(٢) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

الى هــذه المسألة الاجتماعية الخطيرة نظرة موضــوعية لنعطى كل ذى حق حقه ولنضع كل انسان فى الموضع الذى يناسبه على حسب ما يوجهنــا العلم ، لا على حسب ما يوجهنــا التعصب لاحد الطرفين ، ولا على حسب ما توجهنا اهواؤنا ونزواتنا ، فهذا الموضــــوع يتعلق بالتنظيم الاجتماعى ولم يزل يعتبر من المشكلات الاجتماعية الهامة فى عصرنا ، كما كان مشكلة اجتماعية فى العصور القديمة وان كانت هذه المشكلة تختلف من حيث الدرجة من مجتمع الى آخر فى الماضى والحاضر .

ولننظر أولا الى وجهة النظر الإسلامية فى تفضيـــــل الرجل على المرأة فى بعض نواحى الحياة الاجتماعية ، وكيف راعى الفروق فى بعض التنظيمــات ولم يجعــل الرجــل فى درجــة واحــدة مع المرأة فى بعض الأحكام والموضوعات ولنعرف الحكمة فى ذلك .

ثم بعد ذلك ننظر الى رأى العلم فى هــذا الموضــوع ونتائج الابحاث التى أجريت لمعرفة طبيـــــعة الفروق الفردية بين الافراد بوجه عام ، والفروق بين الجنسين بوجه خاص ، وسوف نقتصر فى عرضنا على هذا النوع الاخير من الفروق ، لنرى هل تفضيل الاســلام الرجل على المرأة قائم على أمر دينى فقط لمصلحة تنظيم معين للمجتمع من زاوية دينية معينة ، أم هو قائم على أمر دنيوى ومصلحة اجتماعيةوقضية علمية مسلم بها أيضا .

فاذا بحثنا عن سبب تفضيل الاسلام الرجل فى هذا الموضوع بالذات لوجدنا انه يقوم على سببين رئيسيين :

الاول : تفضيله عليها فى أصل الخلقة إذ خلقت بعض صفات وقدرات فيه ، لم تخلق فيهـــا .. مما يجعله أنسب للقيام بوظيفة الرئاسة والادارة ، كما فضــل المرأة على الرجل فى أصل الخلقة اذ خلقت بعض القدرات

والصفات التى تجعلها أنسب للقيام بوظيفة أخرى ..

ثانيا : سبب تفضيل الرجل فى هــذه الوظيفة هو الانفاق ، انفاق الرجل على المرأة ، فقد خلق فى الرجل بعض القدرات العقلية والبدنية ، كما أشرنا وهى تجعله أقدر على كسب المال وجلبه وتحمل الصراع فى سبيله افضل وانسب من المرأة ، ولذلك كلف الرجل بأعباء لم تكلف بها المرأة ، فكان فى هذا المبدأ ارهاق للرجــل ، وراحة للمرأة ، ولا بد من أن يكون لهذا التعب ميزة وحق مقابل ، والا كان الرجل مظلوما ، لان التسوية فى جميع النواحى مع عدم التسوية فى التكاليف تسوية لا تقوم على أساس من العدل .

« ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » (١) ،

والتفضيل يتبعه عادة بعض تبعات على المتفضل عليه . فالله له علينا الفضل ولهذا فعلينا له الطاعة والشكر .

والرئيس عنــدما يدبر أمورنا ويحل مشاكلنا بحكمة وعدالة فعلينا أن نطيع أوامره .

فتفضيل من جهة يتبعه طاعة من جهة أخرى ، ولهذا قال تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » (٢) أى صاحب الامر والتدبير .

ثم انه من مصلحة النظام الاسرى أن يطيع أحدهما الاخر ، وأولى أن تطيع المرأة الرجل لما قلنا ولما سنقول فيما بعد وينبغى أن يلاحظ ان الافضلية هنا ليست أفضلية فى الانسانية ــ كما فهمها البعض وعمــل بمقتضى هذا الفهم بعض الشعوب وبعض الافــراد ــ فاذا كان الاسلام قد أمرنا بالطاعة لرئيس الدولة العادلة فليس ذلك لافضليته علينا من الناحية الانسانية ، بل

---

(١) سورة المائدة ٥٠ (٢) سورة النساء ٥٩

للمصلحة الادارية والاجتماعية لا أكثر ولا أقل ، وكذلك طاعة المرأة للرجل لا تقلل من انسانيتها شيئا أو تغض من قيمتها الادبية أو كرامتها الشخصية .

ولننتقل الآن الى البحث العلمى فى طبيعة الفروق بين الجنسين من النواحى البيولوجية والفسيولوجية والسيكولوجية .

أما من الناحية البيولوجية ، فالابحاث العلمية كشفت لنا عن وجود الفروق بين الجنسين فى طبيعة التكوين المادى لجسم كل منهما من بداية الخلقة .

فالخلية التى يتكون منها الرجل تختلف عن طبيعة الخلية التى تتكون منها المرأة وذلك بسبب الاختلاف فى بعض المواد الخاصة بالذكورة فى الخلية الذكرية ، والمواد الخاصة بالانوثة فى الخلية الانثوية وهى الكروموزومات والجينات التى تحتويها خلية كل من الجنسين وهذا الاختلاف فى الخلية الاولى التى يتركب منها الجسم ينشأ عنه اختلاف فى المظاهر الجسمية والشخصية .

وأما الاختلاف من الناحية الفسيولوجية أى من ناحية الوظيفة العضوية للجسم ، فالبحث العلمى يثبت ذلك الاختلاف وهذا أمر طبيعى يترتب على الاختلاف البيولوجى منطقيا وعلميا ، لانه اذا كان هناك اختلاف فى التركيب الجسمى فلا بد أن يكون هناك اختلاف فى وظائف الاعضاء من حيث النوع أو الدرجة .

وأخيرا يوجد هناك أيضا اختلاف سيكولوجى وهذا يشمل الجانب النفسى وجانب القدرات العقلية وغيرها .

أما فى الجانب النفسى فهناك اختلاف فى الدرجة لا فى النوع .

وقد ذهب بعض العلماء الى وجود اختلاف فى النوع

حتى فى هذه الناحية أيضا مثل الشعور بالامومة الذى يعتبر فى الدرجة الثالثة من قوة تركيب الحاجات الاولية الحيوية ويقابله عند الرجل الشعور بالوالدية .

ولننتقل الآن الى أهم نقطة وهى الاختلاف بين الجنسين فى الذكاء أو القدرات العقلية

لقد دلت التجارب التى أجريت لمعرفة الفرق فى الذكاء والنمو العقلى بين الجنسين ، على أن :

الاناث يتفوقن على الذكور فى النمو العقلى ، فيما قبل المراهقة ، ويزداد النمو العقلى عند الذكور أكثر من الاناث خلال فترة المراهقة ثم يتقارب الجنسان فى المستوى العقلى العام وتبدو الفروق فى المدى ودرجة النمو فيزداد عند الذكور ويقل عند الاناث ولذا تزداد نسبة العباقرة عند الرجال ، وضعاف العقول عند الاناث (١) .

كما لاحظوا تفوق الرجال فى بعض القدرات المهنية ، وتفوق الاناث فى بعض القدرات الاخرى ، فالرجال يتفوقون على الاناث فى النواحى الجسمية واليدوية والميكانيكية وفى تحصيل العلوم الطبيعية والرياضية وفى نواحى الاختراع والابتكار والسياسة والاقتصاد .

وتتفوق الاناث على الذكور فى الادب والموسيقى والفن والاعمال الكتابية والخدمة الاجتماعية والتدريس فى المراحل التعليمية الاولى كمدارس الحضانة ورياض الاطفال ، والمدارس الابتدائية .

وقد عملت احصائية فى روسيا وأمريكا لمعرفة نسبة المدرسات فى المدارس فوجد ان نسبتهن وصلت الى حوالى ٧٠ ٪ من القائمين بالتدريس ، بينما تقل نسبتهم كلما ارتفى مستوى التعليم . فى الجامعة مثلا أقل

(١) انظر كتاب الذكاء للدكتور فؤاد البهى السيد ص ١٤٨

من المرحلة الثانوية ، وفى الثانوية أقل من الابتدائية وهكذا (١) .

ويرتبط بما سبق الفروق بين الجنسين فى الميول ، فقد أثبتت الابحاث التى أجراها بعض العلماء مثل ترمان ، ومايلز ، وسترونج ، وغيرهم لمعرفة الفروق بين الجنسين فى الميول ان الذكور أميل الى النشاط الجسمى والمسائل العلمية والميكانيكية والامور السياسية والتجارية والاقتصادية ، والميل الى المغامرة ، والاثارة والبطولات والجندية .

وان الاناث اميل الى الفن والادب والموسيقى والاعمال الكتابية والتدريس والخدمة الاجتماعية والى أوجه النشاط المتعلقة بالمنزل والحياة الاسرية والاهتمام بنواحى الجمال والزينة والالوان .

وقد تبين من بحث العلاقة بين الميل واتقان العمل ان معلومات الرجال كانت أدق فيما يميلون اليه ، كما ان معلومات الاناث كانت أدق فيما يملن اليه .

اما الفروق فى النواحى العاطفية والانفعالية :

فقد اثبتت الابحاث التى أجريت لمعرفة الفروق فى هذه الناحية ان الاناث أكثر تعرضا للخوف وأكثر اظهارا للعطف من الرجال فى حين ان الرجال يبدون أكثر قسوة من النساء فى الحالات العنيفة وأقل تعرضا للخوف منهن فى المواقف الخطيرة .

وفيما يتعلق بالانبساط والانطواء وجد ان الاناث اميل الى الانطواء من الرجال ، كما وجد ان بعض الرجال يميلون الى الانوثة ، وان بعض الاناث يملن الى

---

(١) التربية المقارنة للدكتور وهيب سمعان موضوع الوضع الاقتصادى والاجتماعى للمعلمين فى روسيا وامريكا .

الذكورة (١) .

وأهم النتائج التى نخرج بها من هـــــذه الابحاث والتجارب والاختبارات ، نلخصها فى النقط الآتية :

أولا : ان الذكاء أو القدرة العقلية لها صفات هامة منها : الادراك بوجه عام ، واستيعاب المعلومات وحفظها والعمل بمقتضى هذا الادراك وتلك المعلومات ، وهـذه الناحية أميل الى الحكمة ، لان الحكمة هى العمل بالعلم كما تقتضى المواقف والاحوال .

ثانيا : ان الفروق بين الذكور والاناث فى القدرات العقلية فروق فى الدرجة لا فى النوع ، وتختلف درجـة هـــذه الفروق زيادة أو قلة بحسب مجالات الذكاء والتعقل .

ثالثا : ان الذكور يتفوقون على الاناث بوجه عام فى الاعمال المعتمدة على القوة الجسمية والاعمال العقليـة المعقدة والعلوم التى تتطلب قدرات عقلية من الدرجـة العالية .

رابعا : وجـود العـلاقة بين القـدرات والميـول من ناحية ، واتقان الاعمال من ناحية أخرى .

خامسا : تفوق الاناث فى النواحى العاطفيـــــــة والانفعالية على الرجال .

سادسا : ان هذه الاحكام تنطبق على المجموع ، لا على الجميع .

ولو نظرنا الى الحاضر والماضى ، بل الى تاريخ الإنسانية كله ، وتاريخ تقدمها العلمى لوجدنا ان أشهر العلمـاء فى جميع المجالات العلمية كانوا من الذكور ، وقد تقدم العلم ولا يزال يتقدم على أكتاف الذكور ، فأشـــهر

---

(١) التوجيه التربوى والمهنى للدكتور عطية محمود هنا ص ١٦١

الفلاسفة ، وأشهر الاطباء ، وأشهر الرياضيين كانوا من الذكور لا من الاناث حتى وقتنا الحاضر ، وذلك بالرغم من اتاحة الفرص التعليمية للاناث في جميع المجالات منذ مائة عام أو يزيد ، وفى مجال الاختراع كذلك نجد أشهر المخترعين من الذكور ، وفيما يتعلق بالقوة البدنية واليدوية نجد الذكور أقوى من الاناث فى حمل الاثقال والقدرة على الاعمال اليدوية والقيام بأعمال كبيرة .

وفيما يتعلق بقوة الشخصية ، نجد أعظم القواد والسياسيين والعسكريين من الذكور أيضا ، ولا نذهب بعيدا ، فاننا لو نزلنا الى المستويات الادنى فى الحياة لوجدنا أشهر الطباخين ، والخياطين ، والصناع ، والعمال أيضا من الذكور ، وهذا دليل واقعى ملموس لا مجال للانكار فيه وهذه الظاهرة ليست ظاهرة اليوم وانما هى ظاهرة التاريخ الانسانى ، فلو ان الطبيعة زودت الاناث فى هذه الميادين بقدرات أكثر من الذكور لتفوقن فيها فى هذه المجالات ، قد يقولون ان الذكور لم يتيحوا للاناث فرصة ، والحقيقة لو كانت الاناث أقوى من الذكور لتفوقن على الذكور فى هذه الناحية أيضا لان الطبيعة تظهر مهما كانت الامور والظروف هذه المسألة ليست مسألة اليوم ، وانما هى مسألة التاريخ كله .

اما الاناث فانهن تفوقن على الذكور فى كل الاوقات ، ولا زلن يتفوقن فى صناعة الطفل وتربيته ورقة العاطفة وشدة الانفعال ، وفى الخدمات الاجتماعية والاهتمام بالنشاط المنزلى ، والاهتمام بالزينة والتزين ، وتعليم الطفل ، ولا سيما تعليمه لغته القومية ، وفى الميل الى الموسيقى والفن والادب وبذل الرحمة والعطف .

يتبين مما سبق انه لا يصح ان نقول ان الذكور اكثر قدرة على الاطلاق من الاناث ، كما ذهب الى ذلك بعض المتطرفين ولا يصح أن نقول أيضا ان الاناث يساوين الذكور فى كل شيء على الاطلاق ، كما ذهب الى ذلك بعض المتطرفين الذين لايسترشدون بنور العلم فى اطلاق أحكامهم ، وان كان يصح أن نقول ان مجالات نشاط قدرات الذكور أوسع من مجالات نشاط الاناث ، وان قدرات الذكور تؤهلهم لان يقوموا بالاعمال المعقدة الصعبة والشاقة فى نفس الوقت .

## مناقشة بعض الآراء فى هذا الموضوع

يدعى البعض ان الاناث يساوين الذكور فى كل مجال ويستطعن أن يقمن بما يقوم به الرجال ويستدلون على ذلك ببعض السيدات اللامعات فى ميدان السياسة والاجتماع والادب والعلم .

ونفيد ان هذه الاحكام تصدق على المجموع لا على الجميع فمعنى ذلك انه توجد هناك حالات استثنائية والقاعدة عادة لا تبنى على الاستثناءات ، بل على الاغلبية .

اذ اننا نجد كذلك الحالات الشاذة والاستثناءات فى القوانين الاجتماعية ، والقوانين الطبيعية أيضا ومع ذلك فلا نبنى عليهما حكما عاما ، ثم لقد قلنا ان الفروق بين الجنسين فى القدرات العقلية بوجه خاص ، والسيكولوجية بوجه عام ، فروق فى الدرجة لا فى النوع

فلو ان الرجل قام بالعمل الذى يدخل فى مجال قدراته التى يتفوق فيها على الاناث لقام به أحسن وأفضل من المرأة بوجه عام .

بقى رأى آخر يدعى ان الفروق بين الجنسين لا ترجع الى طبيعة الخلقة ، بل ترجع الى الثقافة والتربيـــــة والبيئة ، والدليل على ذلك أن مرجريت ميد قد وجدت ثلاث قبائل يختلف فى أحدها مسلك الرجال عن مسلك الاناث ، وفى أخرى يتفقان ، وفى الثالثة وجدن القضيــة معكوسة .

ففى قبيلة « الارابيش » يسلك الرجال والنساء فيها السلوك الذى يتوقع من النساء ، أى فيهم رقة ويميلون الى الهدوء والدعة ، والقبـــيلة الثانية هى قبـــيلة « موندا جمور » يسلك فيها الرجال والنساء السلوك الذى يتوقع من الرجال أى فيهم الخشونة والصلابة والقبيلة الثالثة هى قبيلة « التشامبولى » يسلك فيها الرجال مسلك النساء ، أى عندهم خبث ودهاء وميل الى التحلى بالحلى وتصفيف الشعر ، بينما النساء أكثر نشاطا وهن يوجهن الرجال ولا يملن الى الزينة .

اذن ثقافة الفرد هى التى تحدد سلوكه بغض النظر عن جنسه أو سنه (١) .

والحقيقة ان فى هذه القضية مغالطة وتشويها .

ذلك أن تأثير الثقافة فى التعبـير مقصـــور على الاداء وأساليب معاملة الناس والسلوك بينهم لا على الطبيعة الانسانية البيولوجية والفسيولوجيـة ، وهـذا الذى يفيده المثال المذكور فى الاخـلاق ، والاخـلاق يكتسبها الانسان عن طريق التربيـة والتقليد ، فمن الممكن أن يتخلق الرجال بأخلاق الاناث ، كما يمكن أن يتخلق الاناث بأخلاق الرجال وفقا لثقافة البيئة وتربيتها ، كما نجد من النســاء المسترجلات ، ومن الرجـال المخنثين فى مجتمعاتنا العادية .

---

(١) مجالات علم النفس للدكتور مصطفى فهمى ص ٣٩ .

غير انه ينبغى الا ننسى شيئا هاما فى هذا الموضوع ، وهو ان هناك تربيـة سليمة ، وتربيـة غير سليمة ، فالتربية السليمة هى التى تقوم على تنمية الاستعدادات الموجودة عند الافراد الى أقصى حد تؤهلهم له

فالتجارب التى أجريت فى هذا الصدد أثبتت لنا وجود بعض الاستعدادات والقدرات الخاصة لكل من الجنسين فى بعض المجالات ، والاختلاف بين الجنسين فى هـذه الاستعدادات والقدرات ـ كما قلنا ـ اختلاف فى الدرجة فاذا نحن عكسنا القضـية فأردنا أن ننسى استعدادات معينة لدى المراة لا توجد عندها بالدرجة التى توجـد عند الرجل ، واستعدادات فى الرجل لا توجد عنـده بالدرجة التى توجـد فى المرأة اعتبرت هـذه العمليـة التربوية غير سـليمة ، لان هذه العملية التربوية عملية تسويق للنمو ، فمثلا توجد عند الرجل القدرة فى العـلوم الرياضية اكثر من قدرة المرأة فى هذه العلوم ، فاذا نحن علمنا الجنسين مما هذه العلوم بنفس المستوى فلا شك ان الذكور يتفوقون على الاناث ، ويصلون الى مرتبـة من التقدم لا يمكن أن يصل اليها الاناث ، واذا علمنـا هذه العلوم للاناث ولم نعلم الذكور ، فالاناث فى هـذه الحالة يتفوقن على الذكور فى هذه القدرة ، لاننا نمينا هذه القدرة فى جنس ولم ننمها فى الجنس الآخر . ولكن هذه التنمية لا يمكن أن تصل الى الدرجة المطلوبة ، ولا تؤدى الى النتيجة التي تنتظر من الرجال ،ولهذا فالتربية تعتبر هنا غير موجهة توجيها سليما .

وكذلك الاعمال العسكرية التى تتطلب القوة البدنية والشخصية ، فالمرأة تستطيع أن تقوم بالاعمال العسكرية ولـكنها لا تستطيع أن تقوم بها بالدرجة التى يقوم بها الرجال .

والعكس صحيح فى تربية الطفل ، فالرجل يوجد عنده استعداد لتربية الطفل ونستطيع أن ننمى عنده أسلوب تربية الطفل ، ولـكنه لايستطيع أن يقوم بتربية الطفل بالدرجة التى تقوم بها المرأة ، ولا نستطيع أن ننمى عنده الاسلوب أو الـكفاية فى هـذا الجانب بالدرجـة التى نستطيعها بالنسبـة الى المرأة لان لديها اسـتعدادات طبيعية : مبنية على التركيب البيولوجى والتنظيـم السيكولوجى أكثر من الرجل .

فاذا كانت التربية غيرسليمة فى هذه القبائل والتقاليد الشاذة قد عكست القضية فدربت الرجال للقيـام بأعمال كان أولى أن تقوم بها الاناث ودربت الاناث للقيام بأعمال كان أولى أن يقوم بها الرجال بحسب الطبيعـة والتكوين والقدرات والاستعدادات الموجودة عند كل من الجنسين فلا نستطيع من ذلك أن نستخلص قضيـة عامة ونقول ان كل الخصـائص الخاصـة بالذكور ، والخصائص الخاصة بالاناث نتـاج التربيـة والثقـافة والبيئة والعادات الاجتماعية .

ثم أنه لو قسنا الوضع فى هذه القبائل الثلاث بالوضع فى المجتمعات الاخرى .وتاريخ الانسانية لوجدنا العـكس هو الصحيح ، فنحن لا نحكم بالوضع السائد فى قبيـلة أو ثلاث قبائل على الوضع السائد فى التاريخ وفى كل المجتمعات ، والا بنينا القضايا العلمية على الشواذ .

بل ينبغى أن نحكم بالاغلبية على الاقليـة وعند ذلك يعتبر الوضع فى القبائل المذكورة شـاذا عن القـاعدة العامة ولـكل قاعدة شواذ كما يقولون .

ونحن عنـدما نضع النظم والقوانين نأخـذ دائما فى الاعتبار الاول الاغلبية وما يشذ عنها يعتبر استثناء .

والآن بعد عرض رأى الدين والعلم والعقل والواقع

نستخلص النتائج الآتية :

اولا : وجود اختلاف فى طبيعة الرجل والمراة سواء كان هذا الاختلاف فى النوع او فى الدرجة .

ثانيا : انه لا يصح ان نسوى الرجل بالمراة ، ولا المراة بالرجل فى كل شيء .

ثالثا : هناك حالات شاذة فردية أو جماعية خارجة على القانون العام .

رابعا : هناك تربية خاطئة قد تقرب المسـافة بين سلوك الرجل والمراة الا ان هـذه التربية لا تؤدى الى النمو السليم ولا تعتبر تربية سليمة .

خامسا : التوجيه السليم فى مجالات الحياة المختلفة هو توجيه كل جنس الى المجالات المناسبة له .

فيجب توجيــه الذكور الى الميــادين التى تؤهلهم قدراتهم واستعدادهم وامكانياتهم لان يتقـدموا فيهـا ويقوموا بالاعمال الخاصة بها أفضل قيام ، وأن توجه الاناث الى الميادين التى يؤهلهن استعدادهن وامكانياتهن للنمو والتقدم فيها والقيام بالاعمال الخاصة بها أفضل قيام . وبناء على ذلك يجب أن يوضع كل جنس فى الموضع المناسب .

سادسا : يجب أن تخضع عملية التربيـة والتعليم والتنظيم الاجتماعى لهذا الاساس العلمى والدينى لتكون عملية تنمية القدرات وتوجيهها سليمة وليكون التقـدم فى الميادين المختلفة والاستقرار فى التنظيم الاجتمـاعى مكفولا والاتفاق فى الاعمال المطلوبة مضمونا .

بناء على كل هذه الحقائق كان تنظيم الاسلام لادارة البيت على أساس أن يقوم الرجل بالادارة والرئاسة ، والقيام بالاعمال الخارجية الصعبة مثل أعباء النفقة التى تتطلب العمل فى الخارج ، والاعمال البدنية والعمليـات

العقلية المجهدة ، وأن تقوم المرأة بتربية الاطفال واعمال البيت الداخلية والخدمات الاجتماعية اللازمة للبيت حينا والضرورية للمجتمع حينا آخر .

بقيت بعض الامور الهامة التى لابد من مناقشتها فى هذا الموضوع وهى :

أولا : انه اذا كان الاسلام جعل الرجل قواما على المرأة ورئيسا لادارة البيت ، فهل هذه سلطة مطلقة ؟

الحقيقة ان الاسلام قيد هذه السلطة بأمرين : اولهما ، انه لا يحق له أن يأمر بشىء يخالف الاسلام والا لم تجب طاعته ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » وقال تعالى : « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما » (١)

ثانيا : ان تقديم الرجل على المرأة فى بعض النواحى مثل ادارة البيت ونحوها لايدل على افضلية الرجل من الناحية الانسانية ، فمن الناحية الانسانية يتساوى الرجل بالمرأة كل له حقوق وعليه واجبات ، فالافضلية فى نظر الاسلام لا تقاس بالجنس ولا بالنوع ، وانما تقاس بالتقوى والعمل الصالح ، قال تعالى : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن» (٢)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لابيض على أسود الا بالتقوى والعمل الصالح » .

فقد فسر بعض الرجال وبعض المجتمعات القوامة بالافضلية فى الانسانية وبناء على هذه الفكرة الخاطئة استذلوا المرأة واستعبدوها .

---

(١) سورة لقمان ١٧٠

(٢) سورة النساء ٣٢

كما ان المراة فهمت المبدأ الاسلامي خطأ ، اذ اعتبرت ان تخفيف الاعباء عنها يعتبر تنقيصا من شأنها وبالتالي بدأت تعتبر ــ ولا سيما المتعلمات والموظفات ــ أعمال البيت أعمالا حقيرة فلا يتنازلن للطبخ وللارضاع وتربية الاطفال وغيرها من أمور المنزل ، مع ان هذا يعتبر عدلا وتكريما لها ، ذلك ان العدالة هي تكليف كل فرد بما يطبق وما هو انسب له ، وهذا هو ما فعله الاسلام ..

فلو فرضنا مثلا وجود شخصين وكلفت أحدهما باحضار الاشياء من الخارج ولم أكلف الآخر بشيء ، وأبقيته مستريحا ، فمن الذي اكرمته هنا ؟.. لاشك انني اكرمت الذي ابقيته مستريحا في البيت .

وكذلك لو كان هناك عملان : أحدهما اشق من الآخر فكلفت أحدهما بالقيام بالاشق ، وكلفت الآخر بالاخف ، فمن الذي اكرمته ؟ .. لاشك انني اكرمت الذي كلفته بالعمل الاخف .

وهكذا نرى الاسلام عدل في هذه القضية واكرم فيها المرأة ، فيعتبر عمل الاسلام فيها عدلا اذا نظرنا اليه من زاوية تكليفه كل واحد بحسب قدراته واستعداده ويعتبر اكراما اذا نظرنا اليه من زاوية تخفيف بعض الاعباء عنها .

ثالثا : ليس معنى القوامة والرئاسة في البيت السطوة والسيطرة والاستبداد ونشر الرعب في أرجاء البيت كما يفهم بعض الرجال ، بل هو اقامة الاعوجاج وتأديب الخارج على الاسلام والمنحرف عن الجادة ، وارشاده الى الاستقامة والدفاع عن الضعفاء ، واقامة العدالة بين الافراد في البيت وتوجيههم التوجيه السليم في الحياة ، داخل البيت وخارجه ، والدفاع عن البيت والحفاظ على كيانه ضد العوامل الهدامة من الداخل

والخارج ، وحل المشكلات التى يتعرض لها البيت بحزم وحكمة وصبر .

رابعـــا : ان الطاعة التى فرضـــها الاســـلام على الزوجة ، وعلى أفـــراد البيت ، ليست من نوع طاعة الموظف لمديره ، فالطاعة هنا لمصلحة الادارة فقط ، أما الطاعة هناك فهى لمصلحة البيت ، ولأمر دينى ثانيا ، فالخروج على طاعة الزوج أو الاب يعتبر خروجا على امر دينى وترك جزء من الاسلام ، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

وقال أيضا : « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشـــه فلم تأته فبات غضبـــان عليهـــا لعنتهـــا الملائكة حتى تصبح » (١) وقال ايضا : « لو جاز لاحد أن يسجد لأحد غير الله ، لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها » .

وهكذا قدس الاسلام هذه الطاعة وهذه العلاقة بين الزوجين كما قدس الزواج من البداية .

كما ان هذه الطاعة هنا ليست استذلالا واستعبادا كما يفهم بعض السيدات فالاسلام منع الاســـــتذلال والاستعباد للاشخاص ، فالاسلام أمـــرنا بالطاعة لاولى الامر ولم يأمرنا بالاستذلال أمامهم ولا نعتبر نحن هذه الطاعة استعبادا منهن لنا .

اذ لا يصح الاستذلال والاستعباد فى نظر الاســـلام ، الا الله الخالق الرازق ، فمن تكبر واستعبد النـــاس واذلهم أذله الله وعذبه لانه بذلك قد نازع الله فى صفته كما يقول الرســـول صـــلى الله عليه وســـلم فى الحديث القدسى معبرا عن الله سبحانه وتعالى : « الـــكبرياء

(١) البخارى ـ باب اذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها ، رواية ابى هريرة .

ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار » وفى رواية لمسلم عذبتــه (١) وقال تعالى : « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق » (٢) .

## تنظيم نفقة البيت

ان مسألة النفقــة فى البيت مهمة جدا ، ذلك انها ضرورة من ضروراته وركن من اركان دوامه وبقــائه ، ولهذا لابد من تنظيمها وتحديد لمن تجب ، وعلى من تجب ، وما مقدار الواجب ؟

ولنبدأ بتنظيمها أولا بين الزوجين باعتبــارهما أول شخصين يتكون منهما البيت وتهمهمــا أمور البيت ، وتعتمد عليهما ادارته ويرجع اليهما اصلاحه أو افساده .

ولا شك ان كسب النفقة وجلبها من الامور الشاقة التى تحتاج الى عمل مجهد وشاق وتتطلب مسئوليــات ضخمــة والقدرة على اعمال ادارية وفــكرية وتحمل ما يصيب المرء فى ســبيلها من نصب ووصب ، فعلى من ينبغى أن تفرض ؟ .. أعلى الزوج ؟ أم على الزوجة ؟ أو على الرجل ؟ أم على المرأة ؟ ..

وقد عرفنا فى الموضوع السابق قدرات كل من الرجل والمرأة والميادين المناسبة لكل منهما بحسب استعدادهما وميولهما ، فلو أوجبنــاها على الزوجة لثقلت عليهــا وأضنتها وأخرجتها عن طبيعتها وأزالت منها الصفات المرغوبة فيها من الجمال والرقة وأبدلتها منهــا ذبول الوجه وخشونة الطبع والشعور بالارهاق وكآبة النفس

(١) صحيح مسلم جـ ١٦ صفحة ١٧٣ التاج الجامع الاصول جـ ٥ ص ٣٢ .
(٢) سورة الاعراف اية ١٤٦ .

وقد يعترض هنا بأن الوظائف الادارية اليوم لا تسبب هذه الاعراض ، ولكن الاعمال لا تقتصر على هذه الوظائف فهناك عمل الفلاحين وعمل العمال والاعمال التجارية والصناعية الى آخره ، فلو تجاوزنا عما يصيبها من الاعراض المذكورة وافترضنا قدرتها على تحملها ، وهنا على وهن فانها لا تستطيع بسبب ذلك أن تقوم بأهم عمل اجتماعى خطير لا يمكن أن يقوم به الرجل كما تقوم به هى وهو تربية الطفل فهذه العملية من أهم الاعمال التى تهم المجتمع ، كما تهم الافراد وتؤثر فى حياتهم الحاضرة والمستقبلة .

من أجل هذا كله أوجب الاسلام النفقة على الزوج فى هذه الحالة أو على الرجل بوجه عام فى الحالات الاخرى .

والنفقة التى أوجبها على الزوج للزوجة ثلاثة أنواع : نفقة المسكن والملبس والمأكل . قال تعالى : « اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » (١) وقال تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » (٢) . وللزوجة أن تنفق على نفسها فى هذه الامور من مال زوجها باعتدال ولو لم يكن الزوج حاضرا ، فقد روى ابو حمزة الرقاشى عن عمه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « كنت آخذا بزمام ناقة رسول الله ، فقال : اتقوا الله فى النساء ، ثم قال : « ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف » وقال النبى صلى الله عليه وسلم لهند امرأة أبى سفيان : « خذى من مال زوجك ما يكفيك ولولدك بالمعروف » .

قد يقول قائل : كثيرا ما يكون هناك فرق بين الزوجين فى الفقر والغنى ولنفرض ان الزوجة كانت غنية والزوج كان فقيرا ، فلو انه انفق نظرا الى حالته فان

(١) سورة الطلاق ٦ (٢) سورة البقرة ٢٢٣

الزوجة الغنية التى عاشت فى بحبوحة من الثراء والرغد لا ترضى بذلك ولا تقنع به واذا كان الامر عكس ذلك لم يخل الامر من اضطراب .

هنا يروى أبو حنيفة أن يكون الانفاق بحسب حالة الزوج ، لان الله قال : « ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله » (١) وهناك رأى آخر وهو رأى الخصاف يرى أن يكون الانفاق بحسب حالهما معا ولكن هذا الرأى يكلف الزوج فوق طاقته .

وهذه المسألة ليست مسألة هينة حتى يستطيع ان يستدين ومن أين يدفع دين الحياة وخير مخرج من هذه المشكلة أن يتفق الطرفان قبل الزواج على نوع الحياة ، فاذا رضيت الزوجة الحياة معه بحسب حاله فى السراء والضراء انتهت المشكلة ، واذا لم يرض الزوج بنفقة معينة تفوق طاقته فيلتزم بما اتفق عليه ، ولهذا قلت فى اختيار الزوجة لابد من الاتفاق على نوع الحياة وذلك حسما لهذه المشكلات المتوقعة .

وليست النفقة مفروضة عليه أثناء الحياة الزوجية فقط ، بل عليه أيضا أن ينفق عليها اذا طلقها وهى فى العدة « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » (٢) أما اذا طلقها قبل أن يمسها ولم يسم لها مهرا فيجب عليه حينئذ المتعة ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا » .

ونرى مما سبق ان الاسلام أكرم المراة بجعل نفقتها على زوجها غاية الاكرام وصانها من الابتذال وأراحها

(١) سورة الاحزاب ٤٩ .
(٢) البقرة ٢٤١

من الارهاق ، فهو بذلك جعلها ملكة البيت وسيدته كما أن الملوك والرؤساء والحكام لا يجعلون زوجاتهم يعملن أى عمل خارج البيت تكريما لانفسهم ولزوجاتهم، أما الاسلام فقد جعل كل الزوجات ملكات فى البيوت .

ومقابل هذا كله لم يكلفهن الاسلام الا بالطاعة لازواجهن والقرار فى بيوتهن ، قال تعالى : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » وبتربية أولادهن ، ولا عليها أن تعمل الا اذا دعت لذلك الضرورات الفردية والاجتماعية .

هذا ما فعله الاسلام بالمرأة ، ولننظر الى المجتمعات الاخرى ماذا فعلت بالمرأة حين رفعت عنها النفقة وكلفتها بالعمل كالرجل أو تركت لها الحرية لكسب رزقها كما تشاء .

فماذا كانت نتيجة ذلك ؟ لقد تزعزع بنيان البيوت وتفككت الاسرة وضعفت أو انعدمت تلك الروح العائلية وزالت العصمة والعفة والادب والاخلاق وأصبحت المرأة لا تؤمن بغير المادة والترف ، ولا تعرف غير الشهوة ، ولا تقيم وزنا لدين أو قيم أو عفة أو أدب ، بالاضافة الى النتائج السيئة الاخرى ، كانتشار الامراض المعدية التى تقتل الناس وتفتك بهم .

وقد أدرك عقلاء الناس هذه الحقيقة المؤلمة ، وهذا المصير السيىء للمرأة والمجتمع ، كما أدركت المرأة ذلك أيضا بعد أن دخلت معترك الحياة وخبرت المسالك ، وكم رأينا منهن من يتمنين أن يجدن بيتا هادئا ينفق عليهن ويرعاهن ويسترحن فيه مما يعانين فى الحياة الصاخبة ، وكم نرى من المصلحين فى الشرق والغرب من ينادون بانقاذ المرأة من هذه العواقب الوخيمة وانقاذ

المجتمع من الفساد الذى أصابه من جراء ذلك ! ؟ ..

ولكن كيف ذلك وهل الى ذلك من سبيل ؟ .. وهل من السهل انقاذ الانسان بعد أن دخل الجحيم ووقع فى حفرة حفرها بيده والقى بنفسه فيها ؟ ..

هذا نظام النفقة بين الزوج والزوجة ، أما نظامها بين الابناء والآباء ، فالاب تجب عليه نفقة أولاده الصغار والكبار العاجزين عن الكسب لعرض أو لمرض .

اما اذا كانوا كبارا فلا تجب نفقتهم عليه بل تجب عليهم نفقة الاب والام ان كانا فقيرين وعاجزين عن العمل ، وكذلك تجب نفقة الصغار على الاخوة الكبار فى هذه الحالة الاخيرة .

ولا ينبغى أن يظن المنفق ان النفقة التى ينفقها على من تجب نفقته عليه لا ثواب له من ورائها ، فهو سينال من ذلك ثوابا من الله سبحانه ، كما ينال الثواب على الصدقة ، بل أكثر من ذلك لانها صدقة وصلة وبر بشرط أن ينوى عند القيام بها انه انما ينفقها لانها واجب عليه من قبل الشرع ، وانه بذلك يؤدى واجبا من واجبات الدين ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من أنفق على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة » .

## تنظيم العلاقة بين الزوج والزوجة

هناك واجبات فرضها الاسلام على الزوج نحو زوجته ، كما أن هناك واجبات أخرى على الزوجة نحو زوجها ، فلا بد من مراعاة هذه الواجبات وأدائها كما ينبغى ، وذلك لدوام الحياة الزوجية وبقاء الروابط بينهما ، وليتم التوافق على أحسن ما يرام .

وأهم هذه الواجبات :

أولا : توفير نفقتها اللازمة من المأكل والملبس والمسكن بقدر استطاعته وقدرته .

ثانيا : حسن معاشرتها واحترام مشاعرها واحساساتها الادبية والانسانية . ان المرأة انسان لها مشاعر انسانية وأدبية مثل الرجل فينبغى أن تحترم مشاعرها وشخصيتها ولا سيما عند حضور الضيوف ووجود الغرباء لان عدم احترامها فى هذه الحالات يؤثر فى نفسيتها أشد التأثير ولهذا أمر الاسلام بحسن معاشرتهن ، قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ان أحسن الناس خلقا أحسنهم خلقا مع نسائهم ، فقال : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم » (١) بالاضافة الى هذا فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن شتم المرأة وعن ضرب وجهها وعن هجرها أمام الناس ولو استحقت الضرب والهجران ، فقال عندما سئل : « ما حق الزوجة على الزوج ؟ » قال : تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح (٢) ولا تهجر الا فى البيت » (٣) هذا وقد توجد عند الزوجة صفة من الصفات لا تعجب الزوج ، فلا ينبغى فى هذه الحالة أن ينظر اليها من زاوية هذه الصفة فقط .. فتبدو فى نظره كل صفاتها فى هذه الحالة سيئة ، بل ينبغى أن يوازن بين صفاتها كلها ، فاذا

(١) رياض الصالحين ـ باب الوصية بالنساء . ص ١٣٧
(٢) ولا تقبح أى لا تشتم .
(٣) التاج الجامع للاصول فى احاديث الرسول ج صفحة ٣١٦ .

كانت هناك صفة سيئة فقد توجد مقابلها صفة أخرى حسنة ، وهذا ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لا يفرك (١) مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر » .

ثم انه يجب أن يعرف ان المراة لا تكون مثالية فى سلوكها وتصرفاتها كلها ، فالتكوين البيولوجى لها جعلها أكثر ضعفا فى عزيمتها وارادتها وشخصيتها بوجه عام .

وهذا ما يجعلها تقصر فى اعمالها ولا تتمها ، ولا تقوم بواجبها كما ينبغى ويجب ، فينبغى فى هذه الحالة تحمل هذا النقص منها ما أمكن ، ولكن لا ينبغى فى نفس الوقت أن تترك على حريتها فى كل تصرفاتها فيتعوج اكثر وتهمل أعمالها ولا تؤديها بالدرجة التى تستطيع أداءها .. والى هذا المعنى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « ان المرأة خلقت من ضلع أعوج لن تستقيم لك على طريقة ، فان استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها » (٢) .

ويدخل فى حسن المعاشرة المحافظة على حيائها ، اذ أن جمال المراة فى حيائها ، وكذلك المحافظة على آداب المعاشرة الزوجية .

ثالثا : المحافظة على حقوقها الزوجية من اعطاء حقها فى الفراش وعدم خيانتها ، ان هضم حقها فى فراشها ظلم على الزوج ، كما ان خيانتها أشد ظلما وتأثيرا عليها.

ان الاسلام امر باعطاء حق الزوجة كما أمر باعطاء حق

---

(١) لا يفرك : اى لاينفر .

(٢) التاج ج ٢ ص ٣١٥ - باب حقوق الزوجة على زوجها ..

نفسه وحق الله فى العبادة فقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعبد الله بن عمرو بن العاص «يا عبد الله الم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل قلت نعم قال فلا تفعل صم وافطر وقم ونم ، فأن لجسدك عليك حقا وأن لعينك عليك حقاوأن لزوجك عليك حقا » (١)

رابعا : عدم كشف سرها لاحـد : لان ذلك ينذر بالقطيعة ويخلق الحقد والضغينة ولانه يعتبر من سوء الخلق ولهذا كله فقد منع الاسلام كشف سرها ، فقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ « أن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى أمرأته وتفضى اليه ثم ينتشر سرها » (٢) .

خامسا : السماح لها بزيارة أهلها اذا ارادت ذلك والسماح لاهلها بزيارتها فى بيتها فى أوقات معلومة ، لان ذلك من صلة الرحم وهى واجب فى الاسلام فاذا هى ارادت هذه الصلة فمعنى ذلك انها ارادت اداء جزء من الاسـلام .

سادسا : مساعدتها ومعاونتها عند الحاجة ولا سيما فى الحالات المرضية .

سابعا : احترام ملكيتها الخاصة والا يتصرف فيها الا بأذنها .

### ب ـ واجبات الزوجة نحو زوجها

أما واجبات الزوجة نحو زوجها فهى :

أولا : الطاعة ، وقد أوجب الله تعالى الطاعة على الزوجة لما يقوم به من تكاليف النفقة والرعاية لشئونها

(١) الصحيح البخارى باب لزوجك عليك حق . (٢) صحيح مسلم باب تحريم افشاء سر المراة .

ومصالحها ثم أن التنظيم والادارة يقتضيان خضوع الافراد لواحد واولى أن تكون هذه الطاعة للزوج لما خلق الله فيه من قدرة زائدة وامكانيات عليا للادارة وتقويم الامور وتسيير دفة الحياة بحكمة واناة وصبر وعزم ، واخيرا خضوعها لامر دينى .

فجعل الطاعة جزءا من تطبيق الاسلام فاذا خالفت هذا الامر خالفت أمرا دينيا تعاقب عليه يوم القيامة .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشها فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها » (١) وفى رواية للبخارى : « اذا باتت المرأة مهاجرة فى فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع (٢) .

وقال أيضا : « لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد ، لأمرت النساء أن يسجدن لازواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق » (٣) .

وكما أنذرهن عن الخروج على الطاعة بالعقاب يوم القيامة ، وعد اللاتى يرضين أزواجهن فى حياتهن بدخول الجنة فى الآخرة فقال الرسول : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » (٤) .

غير ان هذه الطاعة مقيدة بألا يكون فى ذلك معصية ومخالفة لأمر دينى فلا يصح أن يأمر زوجته مثلا بالمنكرات مثل شرب الخمر أو ترك العبادات أو الرقص مع الرجال الى آخره ، كما يحدث من بعض الازواج ،

(١) صحيح المسلم ـ باب امتناع المرأة من فراش زوجها .
(٣) التاج الجامع للاصول فى أحاديث الرسول ـ باب ما للزوج
(٢) صحيح البخارى ـ باب اذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها .
على امرأته .
(٤) التاج الجامع للاصول فى احاديث الرسول ـ باب ما للزوج
على امرأته .

فاذا امر بذلك لا يحق لها أن تطيعه ، واذا أطاعت تكون مسئولة أمام الله .

ثانيا : المحافظة على شرفه فى السر والعلن ، فى حاضره وغيابه .

ان عدم المحافظة على شرفه بالخيانة وغيرها من أشد الامور تأثيرا على نفس الزوج وان اكثر المشكلات والخصومات تأتى نتيجة الخيانة ، بل ان الخيانة أكبر سبب لهدم البيت من أساسه وتشريد الابناء ، فليست هناك جريمة من الزوجة على الزوج أكبر من جريمة الخيانة ، كل جريمة يمكن أن يعفو عنها الزوج وتعود العلاقات وتتناسى الاخطاء ، الا جريمة الخيانة حتى ولو عفى عنها لايمكن أن تصفو العلاقة وتعود المحبة .

انها لا تعكر العلاقة فقط ، بل تعكر الحياة الزوجية طوال الحياة ، وينبغى أن نعلم ان الخيانة تضع قنبلة ان عاجلا أو آجلا فى البيت لابد من أن تنفجر ، وليس واجبها تجنب الخيانة فحسب ، بل من واجبها أيضا أن تبتعد عن كل الامور التى تؤدى الى الشبهة ، وتثير الشك وتكون موضعا للقيل والقال حولها ، فبقدر ما تحافظ على شرفها وتبتعد عن اثارة الشبهات وعن مواضع الشك فبقدر ما تصفو العلاقات وتزيد المحبة .

ولهذا فان الله عندما ذكر صفات الزوجات الصالحات ذكر من ضمنها صفة الحفاظ على شرف الزوج فى غيابه فقال تعالى : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » (١) .

ثالثا : عدم ادخال احد الى بيته الا باذنه ، وهذه النقطة مهمة أيضا لان ادخال الناس الى البيت يثير الشبهة ، والشبهة تعكر الصفو وتقلق البال ، ولهذا

(١) سورة النساء اية ٣٤

ايثارا للسلام ومحافظة على صفاء الحياة الزوجية فقد امر الاسلام المرأة بالمحافظة على هذا الحق ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يحل للمرأة ان تصوم وزوجها شاهد الا باذنه ، ولا تأذن فى بيته الا باذنه » (١) والمراد بالصوم هنا صوم النافلة ، لان الصوم لايحتاج الى الاذن ولو منعه فعليها أن تصوم ، من هنا تدرك مدى ما تطالب به المرأة من مراعاة شعور زوجها حتى العبادات النافلة تحتاج للقيام بها الى اذن زوجها ، لان صوم المرأة يمنعه من الوقاع ، والوقاع من حقوقه ، فصوم المرأة من غير اذنه يعتبر تعديا لحقه

رابعا : حسن المعاشرة والاحترام ومقابلة الاحسان بالاحسان .

يجب أن تراعى الزوجة مشاعر زوجها ، وتعرف الاساليب الادبية الرقيقة التى تستخدمها فى مقابلة احسانه بالاحسان وافضاله بالشكر الجميل ، وينبغى ان تعلم المرأة انه ليست لديها وسيلة تضيف بها حياة الى حياة زوجها ونشاطا الى نشاطه احسن وأفضل من حسن معاشرتها ورقة أسلوبها وجمال مقابلتها ولا توجد هناك وسيلة لدى المرأة تقتل بها نشاط الرجل وتميت حياته فى قلبه كالفلظة فى التعبير والخشونة فى المعاملة والعبوس فى المواجهة والمقابلة .

فالمرأة هى الرقة واللطافة اولا واخيرا ، فاذا خرجت عن هذه خرجت عن طبيعتها ، ولا سيما اذا اصبحت لا تقدر الجميل ولا تعترف بالفضل ولا تعطى وزنا لآداب المعاشرة ، فان حياتها عندئذ لا تطاق اطلاقا ، وقد أنذر الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة من كفران

---

(١) صحيح البخارى — باب لاتأذن المرأة فى بيت زوجها لاحد الا باذنه

العشير ونكران الاحسان وبين ان هذه الخصلة ستدخلها النار يوم القيامة ، فقال : « رأيت أكثر أهل النار النساء .. قالوا لم يا رسول الله ؟ » قال : بكفرهن ، قيل : يكفرن بالله ؟ .. قال : يكفرن العشير ويكفرن الاحسان ، لو أحسنت الى احداهن الدهر ، ثم رأت منك شيئا قالت : « ما رأيت منك خيرا قط » (١) . حقا كم يكون على النفس شديدا ومؤذيا اذا أحسن الانسان الى انسان مدة طويلة ثم ينكر هذا الاحسان كله لمجرد أن يرى منه شيئا تافها أو مؤذيا ولو حدث ذلك منه من غير قصد ، ويكاد يتفق الازواج فى وجود هذه الخصلة السيئة عند المراة بوجه عام ، وانى لأعلم بنتا كان يحسن أبوها معاملتها فى صغرها وكبرها ،وحدث ان اخطأ اليها مرة ، ثم مرض ، وكان يلازم الفراش فتعمدت ألا تسأل عنه ، ولا تواسيه ، ولا تخدمه ، لانه أساء اليها مرة ، ونسيت انه أحسن اليها عشرين عاما ، فانها قد نسيت كل حسناته طوال عمرها ، هذا الخطأ الوحيد قد أزال كل ما فى نفسها من بر واحسان حتى بدأت تنظر الى والدها كأنه انسان غريب عليها أو هو عدو لها ، ان الانسان يكرم عدوه فى حالة المرض فنحن نداوى جرح عدونا فى الحرب اذا ما أصبح أسيرا لدينا ، أما هذا الاب فقد أصبح أشد من العدو فى نظرها .

الا تستحق هذه البنت أن تنال غضب الله وتحرق فى ناره عقابا على قلبها القاسى فهو كالحجارة أو أشد قسوة . وليتصور أحدنا هذا الموقف وهذه الحالة وقد وقع فيها ، وكان موقف زوجته أو بنته منه مثل ذلك

---

(١) صحيح البخارى ـ باب كفران العشير ـ رواية ابى سعيد من النهى .

الموقف كم يتفجر ألما وينزف قلبه دما ؟ ..

وهل تستحق هـذه المراة رحمـة من الله ؟ وكيف يرحمها ؟ وكيف تنزل عليها الرحمة من السماء ؟ وهى لم ترحم والدها القريب منها فى الارض، لا اريد التشنيع هنا بالمراة من حيث عدم وجود الرحمة والعطف والحنان فى قلبها ، بل ان المراة بوجه عام أكثر رحمـة وعطفـا وحنانا من الرجل كما قلنا .

ولـكنها اكثر نكرانا وكفرانا بالفضـل والنعمـة والاحسان من الرجل ، لان المراة شديدة التأثر لاتملك نفسها عند غضبها .

خامسا : الا تشتط عليه فى طلب ما لايقدر عليه من النفقة ، ولا تمن بالانفاق ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ايما امراة ادخلت على زوجها فى امر النفقة وكلفته ما لايطيق لا يقبل الله منها صرفا ولا عدلا الا أن تتوب وترجع وتطلع منه على طاقته » (١) . وقال أيضا : « لو أن جميع ما فى الارض من ذهب وفضـة حملته المراة الى بيت زوجهـا ، ثم ضربت على راس زوجها يوما من الايام تقول : من انت ، انما المال مالى حبط عملها ولو كانت من اعبد الناس ، الا ان تتوب وترجع وتعتذر الى زوجها » (٢) .

سادسا : أن تكون أمينة على ماله وداره ومخلصـة لتربية أولاده .

الامانة مهمة جدا فى البيت ، وليست الامانة فقط بل الثقة بالامانة أيضا فاذا لم يثق الزوج بامانة زوجته لايمكن أن يستريح لها ولا يمكن أن يستريح قلبه الى ما فى البيت ، بل لايمكن أن يطمئن قلبه أبدا وهو فى داخل البيت أو خارجه ، ولا خير فى حياة الانسان اذا

(١) ، (٢) مـكارم الاخـلاق للطبرسى ص ١٥٧

لم يشعر فيها باطمئنان قلبى على نفسه وشرفه وماله ، وكم نرى من هؤلاء الازواج يضعون اماناتهم عند أناس آخرين ولا يضعونها فى بيوتهم ، وما ذلك الا لانهم لايأمنون على زوجاتهم ، فلو انهم وثقوا بهن مثل ثقتهم بغيرهن لوضعوها عندهن ، وليس المفروض أن تكون ثقتهم بهن مثل ثقتهم بغيرهن فحسب ، بل المفروض الا يثقوا بأحد كثقتهم بزوجاتهم .

***

ولهذا أمر الاسلام الزوجة بالامانة على كل ما فى البيت وأن تكون مخلصة فى عملها وفى تربية أولادها وجعلها مسئولة عن كل هذا فى بيت الزوجية ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامير راع ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (١) .

وهكذا يربط الاسلام الزوج بالزوجة ، والزوجة بالزوج ، ثم يربطهما بالبيت وبحياة البيت ، واخيرا يربطهما بالدين وبالدنيا وبالآخرة معا ، لانهما أساس البيت وأساس الحياة فى البيت ومربيا الاولاد .

ولهذا فهما أساس الجيل وأساس المجتمع اذا نظرنا اليهما من هذه الزاوية ومن هذه الناحية .

---

(١) صحيح البخارى باب المراة راعية فى بيت زوجها .

## تنظيم علاقة الآباء بالأبناء

هــــذا التنظيم ياتى فى الاهميــة الثانية بعد تنظيم العلاقات بين الزوجين ذلك انه اذا كان التنظيم الاول يعتبر تنظيم أساس البيت ، فان هــذا التنظيم يعتبر تنظيم بناء البيت .

ولهذا كما يجب الاعتنـــاء بالاول ، يجب الاعتنـــاء كذلك بالثانى ، ولربما كانت صلة هذا الاخـير بالمجتمع وبحياة المجتمع اكثر من صلة الاول به ، لان هنا أولادا ينمون ويكبرون ويخرجون الى الحياة العامة ، الحياة الاجتماعية فاذا لم يلقوا العنـاية التامة ولم يأخـذوا نصيبهم من التربية المتكاملة فهذا بلا شك سوف يؤثر فى خياتهم الخاصة وحياة المجتمع عامة .

والعـلاقة بين الآباء والابناء هى عبـارة عن تبـادل الواجبات ، فلـكل واجبات نحو الآخر، فهناك واجبات الآباء نحو الابناء ، وهناك واجبات الابناء نحو الآباء ، ولنبدأ الآن بالطرف الاول لاهميته الـكبرى .

### واجب الآباء نحو الابناء

هناك واجبات هامة على الآباء نحو الابناء ، أهم هذه الواجبات هى النفقة ، وقد ذكرناها ، والتسوية بينهم

فى المعاملة ، واخيرا التربيـــة والتعليم ، وفى الصفحات القليلة الآتيـة ســـنحاول شرح الموضـــوعين الاخيرين بشيء من التفصيل .

### ١ ـ التسوية بين الابنـــاء فى المعاملة

ان تسوية الابناء فى المعاملة من واجب الآباء ، وهذه نقطة مهمة ذلك ان التفرقة فى المعـاملة تولد الحقـد والحسد فى النفوس وتزيل المحبة والتعاطف فيما بينهم من جهة ، وفيما بينهم وبين الآباء من جهة أخرى الى جانب هذا وذاك تكون هذه التفرقة سببا لنشأة بعض الامراض السيكولوجية او النفسية فى حالات كثيرة ، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله وأعدلوا فى أولادكم » (١) .

ان ايثار بعض الابناء على البعض ولا سـيما ايثـار الابناء على البنات كما يحدث عادة فى مجتمعاتنا ـ هذا الايثار من اقبح الافعال وأرذل الخلال ، وقد كان ذلك من عادات الجاهلية وعادات بعض الشعوب البدائية ، وقد تجاوز الجاهليون ايثار الابناء على البنات الى وأد البنات وهن أحياء ، فلما جاء الاســلام حارب هــذه العادة الشنيعة محاربة شديدة . قال تعـــالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشــية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا » (٢) وقال : « واذا المـــوءودة سئلت بأى ذنب قتلت » (٣) .. وقال : « قد خسر الذين

---

(١) سورة الاسراء اية ٣١ (٢) سورة الكوثر ٨ ـ ٩
(٣) سورة الانعام اية ١٤٠

قتلوا أولادهم سفها بغير علم » (١) ٠

فعليهم أن يسووا بين الاولاد والبنات فى المأكل والملبس والعطف والحنان وسائر الحقوق ٠ وترغيبا فى ذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان له أنثى فلم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة » ٠

ان الحب أمر قلبى قد يتجه نحو أحد الابناء أكثر من الآخر بسبب أو بغير سبب فهذا عمل القلب ولا طاقة لنا به ، وهذا ليس مقصورا على الابناء بل يشمل الزوجات والاقارب الا ان عمل القلب شيء والمعاملة الخارجية شيء آخر فنحن أمرنا بالعدالة فى معاملاتنا لمن نحب ولمن نكره ولا جناح فى الحب ولكن الجناح فى المعاملة بمقتضى الحب ٠

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب عائشة اكثر من غيرها من زوجاته ومع ذلك كان يعدل فى القسم والاطعام والنفقة وغيرها من الحقوق الزوجية وكان يقول : اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تلمنى فيما تملك ولا املك (٢) وكان يقصد العمل القلبى فى حبه لعائشة ٠

فالايثار وعدم العدالة فى المعاملة بالاضافة الى ازالة المحبة من بين الافراد والسعادة من البيت فانه يخلق جوا مشحونا وظلما قاتما فى سماء البيت ، ونتيجة لذلك تتحول الحياة فيه الى جحيم لا يطاق ٠

وما أحسن ما قالته فاطمة الانمارية عندما سئلت : اى أولادك أحب اليك ؟ . . فأجابت : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ٠

---

(١) رياض الصالحين ـ باب كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض

(٢) التاج الجامع للاصول فى احاديث الرسول ـ باب القسم بين الزوجات ٠

هــذه هى الام التى تمثل الامومة المثالية العادلة بين ابنائها ، وهذه هى المعاملة التى يرضى عنهــا الصــغير والكبير والتى أمر بها الاســـلام ، وقد أمر بذلك لتزداد المحبة والترابط بين أفراد البيت جميعا وليعيشوا فى عشهم متحابين متكاتفين متعلقين بعضهم ببعض كتعلق المحب بالمحبوبة .

## ٢ ـ التربية والتعليم

ان تربية الاولاد وتعليمهم فى مرحلة مبـــكرة تربية صحيحة من أهم واجبات الآباء ، أو واجبات البيت عموما نحو المجتمع .. باعتباره مدرسة الاطفـــال الاولى فاذا لم يقم بوظيفته فلا تعوضها أية مدرسة أو مؤســـسة أخرى .

وقــد أدركت هــذه الحقيقة الدول المتقــدمة ، كما ادركها رجال التربية وعلماء النفس .. ان خطأ التربية فى هذه المرحلة يعتبر كارثة فى حياة الاطفال ولا تقتصر مضار التربية الخاطئة على حياة الاطفال بل تتعدى الى حياة الامة ، فليست المهارة فى انجاب الاطفــال ، بل المهارة حقا فى تربيتهم وتكوينهم رجالا للمستقبل وليس الفخر فى كثرة الاطفال وانما الفخر فى صناعة الرجال ، وهكذا ينبغى أن يفكر الآباء فى طريقة التربية قبـــل أن يفكروا فى انجاب الاطفــــال ، يجب أن يتعلموا طرق التربية السليمة أولا وقبل كل شىء ، ان انجاب الاطفال دون أن يتزود الوالد بالــكفاية المــالية ومعرفة طرق التربية المطلوبة يعتبر جريمة فى حق الاطفال ، ولهــذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من استطاع منكم البــاءة فليتزوج » والبــاءة كما فسرناها الواجبــات الزوجيــة ومن ضــمنها الــكفاية المــالية والتعليميــة

والتربوية وكم نرى من هؤلاء الذين لا يملكون هذه الكفاية لايأتون الا بالاطفال التعساء فيصابون بأمراض عضوية تعوق النمو الطبيعى ، نتيجة قلة التغذية .. وبالامراض النفسية نتيجة سوء التربية وسوء المعاملة فيخرجون الى الحياة معوقين نعانى منهم فى مجال التربية ويعانى منهم الاطفال الاصحاء وأخيرا المجتمع كله ويخرجون الى الحياة مجرمين منحرفين.

وأمثال هؤلاء الآباء يخطئون فى حق أنفسهم ، وفى حق أبنائهم وفى حق مجتمعهم ، يخطئون فى حق انفسهم لانهم يعانون من سوء سيرة ابنائهم ويشعرون بالكآبة عندما يرون أنفسهم عاجزين عن اعطاء أبنائهم مايحتاجون اليه من التغذية والملبس والتربية والتعليم وهذا يضرهم أكثر من ضرر العزوبة ، ويخطئون فى حق ابنائهم لانهم يعيشون تعساء فى الحياة لا ملجأ يأويهم ولا مال يعلمهم ولا اعداد للحياة يصلحون به للحياة السليمة .

ويخطئون فى حق المجتمع لانهم يخرجون افرادا للمجتمع لا ينفعون الناس ولا ينتجون ، بل يستهلكون فقط ، صحتهم بحاجة الى العلاج ، وهم بحاجة الى الغذاء مع انهم لا يستطيعون كسب ثمنه ، وكم نرى من هؤلاء الاطفال وأكبادنا تنزف دما حينما نجدهم فى الشوارع فى حالة يرثى لها ، فماذا يصنع هؤلاء الاطفال لابد من أن يتحولوا اما الى شحاذين فى الطرقات واما الى سارقين أو مجرمين قساة القلوب لم يروا عطفا يعطفون به على الناس ولم يروا رحمة يرحمون بها الناس ولم يروا خيرا ليعملوا الخير ولم يتلقوا التربية الانسانية ليصبحوا ناسا بين الناس ولا يستطيعون التكيف لا فى المجتمع ولا فى المؤسسات التى يعملون فيها ومع الناس الذين يعيشون معهم ، ومن كانت خصالهم هذه لا يمكن

أن يجدوا السعادة فى الحياة والبهجة والسرور فيهما ومن منا يرضى أن يكون أبناؤه هكذا ؟ ..

ومن أهم ميزات التربية فى المرحلة المبكرة انها تؤثر فى الاطفال تأثيرا كبيرا وتصبح خبراتهم هذه عادات لايتركونها ولهذا فاننا نرى الكفار لم يؤمنوا برسالة السماء بالرغم من الاقناع العقلى وقد برروا موقفهم بأنها تجعلهم يتركون عادات وتقاليد آبائهم ، فقالوا : « أصلواتك تأمر أن نترك ما يعبد آباؤنا » (١) وقالوا : « ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم » (٢) وقالوا استنكارا للوحى لانهم لم يسمعوا من آبائهم : « ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين » (٣) . وقال التربويون : ان الطفل يتقبل من آبائه أكثر مما يتقبل من معلمه وان ما عوده وتربى عليه فى صغره من الصعب ازالته عنه فى كبره ، ولذلك يجب الاعتناء والحرص على تعليمه بحيث لا يلقن الا العقائد الصحيحة ، ولا يفعل والداه بمرأى منه مايخالف الدين والآداب والاخلاق القويمة وآداب المعاشرة السليمة .

وهناك خطأ تربوى يرتكبه الآباء فى حق أبنائهم لا نتيجة الضائقة الاقتصادية ولكن نتيجة الجهل الذى يدعوهم الى الغياب عن الاسرة وقضاء أوقاتهم خارج البيت فلا يحضرون للبيت الا للنوم وللراحة ، فالام تقضى أوقاتها مع صديقاتها واصدقائها فى مواطن اللهو واللعب وأماكن الترفيه ، والاب كذلك وبذلك يهملون تربية أبنائهم والاشراف عليهم ويحرمونهم من الجو العاطفى والروح العائلية الدافئة .

وقد يكون سبب هذا أحيانا ما تقوم به الام من أعمال

---

(١) سورة هود ٨٧ . (٢) سورة سبأ ٤٣ .
(٣) سورة المؤمنون ٢٤ .

خارج البيت ، فتعجز عن القيام بدورها التربوى الذى هو أهم وظيفة لها .

ولهذا وذاك قد تحولت البيوت الى فنادق كما يقول الدكتور زكريا ابراهيم ، يقول : « ونظرا لانشغال عدد كبير من النساء المتزوجات بأعمالهن اليومية فى المصنع أو المكتب أو فى مقر آخر فقد انصرفت الكثيرات منهن عن الاهتمام بشئون البيت مما جعل من البيت مجرد فنادق للنوم ولا شك انه اذا كان فى تقييد المرأة الحديثة بالمنزل حجر على حريتها فان فى انصرافها من الحياة المنزلية قضاء مبرما على الاسرة .

هذا الى ان فى انشغال النساء المتزوجات بالمصانع والمحلات عددا كبيرا من الساعات اهمالا مؤكدا لواجب الام نحو الطفل وهو ما أدى الى تزايد عدد الاحداث الهائمين على وجوههم فى الشوارع وارتفاع نسبة الجرائم بين الاحداث عموما وليس من شك فى ان الام التى تجد نفسها مضطرة الى أن تقضى عددا كبيرا من الساعات بعيدا من بيتها لا يمكن أن تجد متسعا من الوقت للاشراف على شئون بيتها واعطاء أبنائها الصغار القسط اللازم من العناية والرعاية وكيف يتسنى للآباء أن ينعموا بعطف أمهم وأن يتلقوا عنها تربية صحيحة اذا كان جل وقتها ضائعا بين المصنع والنادى ، أو بين المكتب وحلقات الميسر .. الخ .

وفضلا عن ذلك فان الملاحظ فى كثير من البلاد الاوربية والامريكية أن تزايد الفرص أمام النساء للعمل فى المصانع والمحلات قد فوت على الكثيرات منهن فرص تعلم الفنون المنزلية وتلقى علوم التدبير والحياكة والتربية وخلافه .

والواقع ان نساء كثيرات منهن أصبحن يتوهمن أنهن أسمى بكثير من أن ينزلن بأنفسهن الى هذا المستوى ، ولذلك فان الواحدة منهن حينما تصبح زوجة وأما لا تلبث أن تجد نفسها بازاء مهمة لم تعد لها أو بازاء تبعة لا طاقة لها على النهوض بها ونظرا لحاجة مثل هؤلاء النساء الى الالمام بشئون البيت فانهن يجعلن من الحياة المنزلية جحيما لا يطاق » (١) .

وقد أدرك هذه الحقيقة كبار رجال التربية فى روسيا بعد أن قاموا بفتح دور الحضانة ورياض الاطفال للاستغناء عن البيوت والامهات لانهم ظنوا فى البداية انهم يستطيعون الاستغناء عن حياة البيوت باستلام الاطفال من الامهات بعد الولادة وتنشئتهم فى هذه الدور

وبالرغم من انهم اضطروا أخيرا الى الاعتراف بالاسرة والحياة المنزلية وبدور الام فى التربية وخاصة فى المراحل الاولى ، وتقديرهم هذا الدور ، وتشجيع الامهات بالاهتمام بالامومة والآباء بالابوة ، فانه نظرا لانشغال المرأة فى المصانع والمكاتب اضطروا الى فتح دور حضانة فى كل مؤسسة للعاملات بها ، وقالوا أخيرا نحن نتمنى أن يأتى يوم تتحسن فيه اقتصاديات البلاد وتستغنى الامهات عن العمل ويتفرغن لتربية الاطفال والحياة المنزلية (٢) .

تلك حقيقة أدركوها بعد التجربة فى دور الحضانة لان المربيات فى هذه الدور لايمكن أن يعطين العطف والحنان لمجموعة من الاطفال ولا يمكن أن يقمن برعاية الام حتى ولو فرضنا اننا قد وجدنا لكل طفل فى هذه الدور مربية مستقلة فانها لا تستطيع أن تشبع الطفل

(١) ، (٢) الزواج والاستقرار النفسى للدكتور زكريا ابراهيم ص ١٠٨ ، ص ١١٢

من الحنان وعطف الامومة بالدرجة التى تستطيعها الام ذلك انها ليست أمه فلا بد من أن تكون باردة فى عواطفها ومشاعرها نحوه ، لان هذه العواطف والمشاعر لا تنبع من قلبها ونفسها ودوافعها الاساسية ، أما الام فلا تستطيع أن تمنع نفسها من العطف والحنان والرعاية لان هذه الامور نابعة من نفسها وقلبها وروحها لان ما فى حضنها جزء من قلبها وروحها ولحمها ودمها .

***

وهكذا كان الاسلام حكيما عندما دعا الى تكوين البيت والاسرة على أن تكون أساسا لتكوين المجتمع وأن تكون مدرسة الاطفال وأن يكون مدرسوها أمهات وآباء وعندما اعطى لحياة البيت وللروابط بين أفراد البيت القداسة الدينية .

والتربية ليست مجرد تهذيب الاخلاق فقط كما يفهمها كثير من الناس وانما هى بوجه عام اعداد الفرد للحياة وهذا لا يكون الا بتكوين شخصية متكاملة تستطيع التكيف مع الظروف المختلفة ومع المجتمع الذى يعيش فيه وتستطيع مواجهة مشكلات الحياة المختلفة وتتحمل صعوباتها ويكون راضيا عن أعماله ويكون المجتمع راضيا عنه ويثق فى نفسه ويثق فيه المجتمع .

الشخصية الكاملة التى تتكامل فيها جوانب النمو العقلى مع النمو الاجتماعى والعاطفى والروحى والخلقى والعلمى .

## أسس التربية السليمة

ولكي تحقق التربية هذا الهدف الاساسي منها فلا بد من أن تقوم على أسس وفيما يلي سأشير الى أهمها :

الاساس الاول : أن تخضع التربية لقاعدة النمو ، فنحن لا نستطيع أن نلقن أي فكرة في أي مرحلة من مراحل النمو وان ادعى ذلك البعض ولا نستطيع أن نطالب الطفل بالقيام بأي سلوك في أي سن ، ولانستطيع كذلك أن نعلم كل شيء في أي مرحلة وكذلك تهذيب الاخلاق وغيره فعملية التربية لابد من أن تساير عملية النمو الطبيعي وأن تساير نمو الميول عند الطفل ، والا فستؤدي التربية الى أضرار بالغة الخطورة لا يدركها الا التربويون وقد ذكر هؤلاء مراحل النمو وكيف يرتبط سلوك الطفل بهذه المرحلة أو تلك ، ولا أستطيع بيان كل ذلك بالتفصيل هنا لانني لا أكتب كتابا في التربية ،ولكن أحب اعطاء بعض المعالم الهامة ليسترشد بها الآباء والامهات ولأثير اهتمامهم بهذا المجال ليتوسعوا في قراءة الكتب الخاصة بالتربية ان أرادوا أن يربوا أولادهم تربية سليمة .

وفيما يتعلق بمراحل نمو الطفل فقد ذكر التربويون ان الطفل في المراحل الاولى من حياته الى حوالي السنة السادسة من عمره يقوم سلوكه وتربيته وتعليمه على

أساس اللذة والالم الحسيين فاذا ترتب على سلوكه لذة حاول فعله مرة أخرى واذا ترتب عليه ألم حاول تجنبه مرة ثانية .

ومن هنا نجد الطفل عند تعرفه على العالم المحيط به يحاول أن يعرف كل شيء بلمسة بيده أو بفمه لانه لايملك وسيلة أخرى لمعرفة قيمة الشيء غير ذلك ، ونجده كذلك يقفز من الاماكن العالية لانه لا يقدر قيمة المسافة بالادراك والنظرة ، فليست عنده طريقة للتعرف على قيمة العالم المحيط به الا طريقة اللذة والالم أو بتعبير آخر طريق الحس والاختبار الحسى .

وفى المرحلة التى تليها توجه سلوكه المنفعة فاذا رأى فيه المنفعة فعله ، واذا لم ير فيه نفعاً تركه ، وهذه المرحلة تستمر الى حوالى السنة التاسعة .

وفى المرحلة التى بعدها يبدأ يبنى سلوكه على أساس ما تكون عنده من القيم فيقوم سلوكه على أساس ان هذا حسن وذاك قبيح وان هذا فعل انسانى وذاك فعل حيوانى .

هنا نجد صلة بين النمو وبين السلوك كما نجد مثل هذه الصلة بين النمو وبين عملية اختيار السن ونوع المدرسة ونوع العمل الى آخره .

ففى عملية الاختيار يمر الفتى بثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : مرحلة التخيل وتستمر الى ما قبل البلوغ أو المراهقة . ففى هذه المرحلة يبنى الفتيان اختيارهم للأعمال على الخيال لانهم لا يقدرون الصعوبات المترتبة على هذا الاختيار أو ذاك ولا يستطيعون أيضا أن يوفقوا بين سلوكهم وقدراتهم لانهم لايستطيعون أن يقدروا مدى ما عندهم من استعدادات وقدرات ولان قدرات الانسان فى هذه المرحلة فى نمو مستمر اذ انها

لا تكتمل الا بعد مرحلة المراهقة .

المرحلة الثانية : مرحلة الاختيار المبدئي وتبدأ عند بدء مرحلة المراهقة ، وفى هذه المرحلة يشك المراهق فى قدراته بالرغم من احساسه بنمو هـذه القدرات نموا سريعا وبالرغم من بدء احساسه بالتأكد من ذاته الا ان تقديراته للأمور ونظرته الى الاوضاع تنبع من افكاره الذاتية وتخيلاته الداخلية

ولهذا يحس باخطائه عندما تحول احساساته وافكاره الى وقائع ويجد الفرق بين ما يحس وبين ما هو واقع ، بين ما يدور فى داخل نفسه وبين الحقائق الخارجية . وهذا ما يجعله يختار مهنة اختيارا مؤقتا ومبدئيا الى ان يحس فى قرارة نفسـه باستقرار آرائه وقدراته وتصوراته عن ذاته والى أن يحس بالتلاؤم بين هـذه التصورات ، والمدركات الذاتية من جهة ، وبين الحقائق الموضوعية الخارجية الواقعية من جهة اخرى .

المرحلة الثالثة : مرحلة الاختيـار الموضوعى الواقعى وهى تبدأ بعد مرحلة المراهقة . ففيهـا يبـدأ اهتمامه بالاعتبـارات الموضـوعية الواقعية فى اختيـاره لنـوع الدراسة أو المهنة أو العمل وفى مواجهتـه للمشكلات ويستقر فى آرائه واختياراته وفيها يحاول ايضا أن يلائم وان يوفق بين ما يحس فى قرارة نفسه وبين ما يدرك من الحقائق الخارجية وبين ما يواجه من وقائع فى حياته الراهنة .

اذن فى هذه المرحلة تتدخل فى سلوكه العوامل الذاتية والعوامل البيئية وما يدركه من الحقائق وما يؤمن به من القيم ، ونهاية المرحلة السابقة وبداية هـذه المرحلة تعتبر من اهم مراحل القلق والاضطراب فى حياة الفرد اذ التوفيق بين هذه العوامل واتخاذ اتجاه معين ثابت

واختيار طريقة للحياة الفكرية والعمليـة من أصـعب الامور كما انها تعتبر أخطر مرحلة من حيث كونها ملتقى الطرق التى يحتار فيها المرء بين مسالك الحيـــاة والاتجاهات المختلفة من جهة ، وبين الدوافع الذاتيـة والاهداف من جهة أخرى . ولهذا فمن السهل أن يتود الشاب ومن السهل أن ينحرف ومن أجل ذلك يجب على الآباء أن يتفهموا أولادهم ويقدروا مراحـل نموهم ويساعدوهم فيها على الاتجاه السليم بالاقنـــاع وحسن الارشـاد ، وأن يبرروا ما يقع منهم أحيـانا من بعض الاخطـــاء دون أن يوافقوا عليه وأن يتحملوه دون أن يتقبلوه .

واخيرا أود أن أنبه الى ان هـذه المراحـل السابقة سواء فيما يتعلق بالنمو أو فيما يتعلق بالاختيــار هى مراحل لا توجد بينها حدود قاطعة وفواصل حاسمة ، بل فيها تداخل وفيها ارتباط ويختلف فيها الافراد

الاساس الثاني : وجود الفروق الفردية بين الـذكور والاناث من جهة ، وبين أفراد الجنس الواحد من جهة أخرى ، ولهذا فعلى المربى أن يلاحظ هذه الفروق وأن تكون تربيته وتوجيهه مبنيين عليها ، هذه الفروق قـد تكون فى الاحساس وقد تكون فى القدرات العقلية وقد تكون فى الميول وغيرها ، هذا وأهم وسيلة لنجاح التربية هى التوفيق بين القدرات ، والاستعدادات من جهـة وبين الميول والاتجاهات من جهة أخرى .

الاساس الثالث : ان الطبيعة الانسانية طبيعــة بيولوجية سيكولوجية معا ، أى هى مركبة من العنصر المادى والروحى أو النفسى والصلة بينهما وثيقة للغاية الا انها ليست شيئا واحدا فى الحقيقة ونفس الامر ، بل هما شيئان جوهريان مختلفان ولن أخالف فى هـذا

القائلين بالوحدة البيولوجيـــة ولــكنهما بالرغم من اختلافهما يتبــــادلان التأثير والتأثر ، فالامراض البيولوجية مثلا تؤثر فى الحالة السيكولوجية والامراض السيكولوجية قد تكون سببا للأمراض البيولوجية وقــد تعالج هذه بتلك ، هــذه النقطة مهمة فى عملية تربيــة الاطفال ذلك أن بعض الآباء قد يكون اتجاههم روحيــا صرفا فلا يهتمون بجانب التربية الجسمية كعــــدم الاهتمام بالتغذية والترويح والوقاية اللازمة ويكون ذلك سببا للاصــابة بالامراض والنقص فى النمو الجسمى ، وقــد يكون بعض الآباء عكس هؤلاء فيهتمون بالجانب المادى من التربية فقط ويهملون الجانب النفسى والروحى فتتكون عندهم الامراض النفسية والروحية وهـــذا بالتالى يكون سببا للاصابة بالامراض العضــوية ويؤثر أيضا فى حياة الفرد الداخلية ونشاطه الخارجى .

الاساس الرابع : ان الطبيعة الانسانية ليست خيرا محضا كما يقول البعض وليست شرا محضا كما يقول البعض الآخر ، بل هى شىء خال من هذا وذاك وقابلة لان تكون شريرة ، وأن تكون خيرة ، ومصداق ذلك قوله تعالى وهو أعلم بمن خلق : « وهديناه النجدين » (١) اى خلقنا فيه استعدادا للخير والشر معا ، وقال تعــالى : « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » (٢) . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود الا يولــد على الفطــرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمحسانه » كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء (٣) .

---

(١) سورة البلد آية ١٠ (٢) سورة الشمس ٧

(٣) التاج جـ ٥ ص ١٩٦

اى ان الانسان يولد خاليا من اى اعتقاد ومن اى مسلك فأبواه هما اللذان يجعلانه يعتقد هـذا أو ذاك ويسلك هذا المسلك الخير أو ذلك المسلك الشرير وأدل من كل هذا قوله تعالى : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » (١) اذن الخير والشر يأتيان الى الانسان من التربية ، فالتربية الخيرة تطبع الانسان بالطبع الخير والتربية السيئة تطبعه بالطابع الشرير .

الاساس الخامس : مرونة الطبيعة الانسانية ، فالانسان قابل للتشكيل بأشكال مختلفة وتكوين عادات جديدة وازالة عادات قديمة ، وسهولة ذلك وصعوبته تختلف بحسب عمر الانسان ومدى قابليته للتشكيل من جهة وبين أساليب التغيير والتبديل من جهة أخرى.

الاساس السادس : تختلف إساليب التربية والتعليم ووسائلها بحسب مراحل النمو ، فمثلا الاساليب المناسبة والوسائل المستعملة لعملية التعليم فى مرحلة الطفولة غير الاساليب والوسائل التى ينبغى ان تستعمل فى مرحلة المراهقة اذ انها ينبغى أن تكون حسية بقدر الامكان فى المرحلة الاولى وأن تكون عقلية ادراكية فى المرحلة الثانية ، وقد يقتضى الامر الجمع بين الوسيلتين فى بعض الموضوعات التعليمية .

الاساس السابع : التربية الاجتماعية ينبغى أن تتم فى وسط اجتماعى وفى وسط بيئى ، فيجب تهيئة بيئة للطفل يطبق فيها المفاهيم الملقنة وأن يعيش فى بيئة لا يناقض ما فيها ما يلقن له من المفاهيم والاداب السلوكية، فمثلا اذا أردنا أن نربى أولادنا تربية أخلاقية وآداب اجتماعية سليمة لا ينبغى أن نتركهم يصاحبون الرفقاء الاشرار الفاسدين الفاشلين وأن نجد لهم الرفقاء

(١) الشمس ١٠ .

الصالحين وأن نجعلهم يطبقون ما نلقن لهم من المبادىء والمفاهيم الصحيحة فى الاوساط الاجتماعية المختلفة .

الاساس الثامن : تحقيق مطالب النمو عند الاطفال ، يجب أن تحقق التربية مطالب النمو الانسانية فى طبيعة الانسان اذ ان هناك مطالب النمو الجسمى والنمو العقلى والنفسي والاجتماعى والخلقى فلا بد أن تكون التربية متكاملة ومتناسقة بحيث تتكامل فيها هذه الجوانب وان تتم كلها على مستوى واحد وان يكون هناك أيضا تناسق فيما بينها فلا يتعارض هذا الجانب مع الجانب الآخر ، وهكذا .. وفيما يلى سوف أحاول بقدر الامكان توضيح بعض المبادىء الهامة فى تربية كل جانب من الجوانب السابقة .

## جوانب التربية المتكاملة

### التربية الصحية :

وتشمل : الصحة الجسمية والصحة النفسية

أ ـ التربية الجسمية : للتربية الجسمية طريقتان لابد منهما اذ ان لها جانبين : جانب البناء ، وجانب الوقاية .

فالجانب الاول يتحقق عن طريق تطبيق عوامل البناء· من هذه العوامل : عامل التغذية الكاملة ، فيغذى الطفل بجميع الاغذية والفيتامينات التى يحتاج اليها ، اذ ان نقص التغذية اللازمة يعرض الجسم للاصابة بالامراض ويخلق استعدادات لها ، بالاضافة الى هذا يؤدى الى النقص فى النمو الجسمى والعقلى ، والنقص فى وظائف الاعضاء والنشاط العام فى الحياة ·

وهناك عوامل أخرى تؤثر فى بناء الجسم مثل

الانشطة الرياضية المختلفة ، والترويح والتنزه فى المتنزهات حيث الهواء النقى الطلق ، ومثل صحة الوالدين والعوامل الوراثية الموجودة فيهما ، فاذا كانت صحتهما جيدة ، والعوامل الوراثية حسنة ، فلا شك ان كل ذلك يؤثر فى بناء جسم الطفل وعقله بناء سليما ويكون الامر خلاف ذلك اذا انعكست هذه الامور ..

الجانب الثانى من تربية الجسم هوالوقاية ، فالوقاية خير دواء ، فان الوقاية وبناء الجسم السليم يمنعان الاستعدادات المرضية من أن تلعب دورها ، فمثلاً اذا كان عند الطفل استعداد لمرض السل ، فالامران السابقان يمنعانه من الاصابة بهذا المرض .

والوقاية تكون عن طريق تعويد الطفل على النظافة وعلى العادات الصحية السليمة وابعاده عن الاماكن الموبوءة وعن مصاحبة المرضى والذين يحتمل اصابتهم بالمرض ، ولا سيما الامراض المعدية ، واتباع النظام العلمى فى الملبس والمسكن .

## ب ـ الصحة النفسية :

هدف الصحة النفسية هو خلق الشعور بالسعادة والشعور بالسعادة لا يتم الا اذا اتخذ الانسان مسلكا فى الحياة وحدد له هدفا أو أهدافا يسعى لتحقيقها .. وهذه بدورها تتلاءم مع اعتقاداته ومع ما يؤمن به من القيم الدينية والاجتماعية ، ويعمل فى مسلكه باخلاص بحيث يشعر بالرضى عن نفسه وعن عمله ويرضى المجتمع عنه وبذلك يشعر انه انسان خير ويعمل للخير ، وان مصيره الى الخير ، وانه يعمل ويسلك المسلك الذى يرضى ضميره ويرضى مجتمعه ويرضى ربه وهذا الرضى وهذا الشعور بخيرية الذات وخيرية الحياة وخيرية

المصير هو عين السعادة فى نظرى وفى اعتقادى . ولكن هذا لايمكن أن يحدث الا بتوفير الشروط الآتية :

الشرط الاول : الشعور بالامن والطمأنينة النفسية .

الشرط الثانى : القناعة بما فى يد الانسان وعدم الطمع فيما فى أيدى الناس .

الشرط الثالث : التخلص من القلق والاضطراب والخوف والامراض النفسية الاخرى .

الشرط الرابع : اتخاذ مسلك فى الحياة يتفق مع قيم المرء الدينية والاجتماعية .

وكلما زاد مقدار تحقق هذه الشروط زاد مقدار شعور الفرد بالسعادة ، وهذا هو الطريق الوحيد الى الصحة النفسية .

غير انه لايمكن تحقيق السعادة بهذه الصورة لدى الاولاد فى كل مرحلة ، اذ انه توجد هناك أساليب مناسبة وخاصة لكل مرحلة وأساليب عامة للمراحل كلها ، ولهذا ينبغى تطبيق المبادىء العامة الآتية للصحة النفسية :

أولا : سلامة الجو العائلى من الخصومات المستمرة وتصدع الحياة العائلية ، اذ ان الخصومة المستمرة بين الوالدين تؤثر تأثيرا كبيرا فى نفسية الاطفال ، قد يكون السبب فى ذلك احساس احد الوالدين او كليهما أن الحياة الزوجية مسئولية لا تطاق أو انها قيود على حريته ، فهذا الشعور يؤدى الى الضيق من الحياة المنزلية ومن الاولاد وهذا بدوره يمنعه من اضفاء الجو العاطفى والحنان الابوى على حياة البيت ، بالاضافة الى هذا فانه يملأ البيت بجو مشحون بالانفعالات النفسية الساخطة ، عندئذ لا يشعر الابناء لا بالمحبة ولا بالعطف بل يشعرون بالنبذ والاهمال والسخط ، وهذا يؤدى

الى الشعور الباطني بالحرمان التام من العاطفة الابوية وبهجتها ، وهو من أهم أسباب الاضطراب النفسي الذي يحدث عند الاطفال لا في حياتهم الحاضرة ، بل في حياتهم المقبلة أيضا .

وقد يكون السبب في الخصومة المستمرة الزوجة المسترجلة ، أو الزوجة الهستيرية ، أو الزوج الطفل الذي ينتظر من الزوجة ما كان ينتظره من أمه حين كان طفلا . واخيرا قد يكون السبب في هذه الحالة الادمان على المخدرات أو المجون في السلوك

ثانيا : تحقيق الحاجات النفسية الاولية للأطفال .

من أهم هذه الحاجات الشعور بالامن والشعور بالامن مشروط بان يلقى الطفل المحبة والقبول من الابوين وأن يجد الاستقرار في المعاملة فالتناقض الشديد في المعاملة يؤدي الى الاضطراب الانفعالي الشديد لدى الاطفال .

ثالثا : تجنب استعمال الاساليب الخاطئة في التربية وقد ذكر الدكتور مصطفى فهمي اهمها وهي الآتية :

ـ الحرمان من رعاية الام .

ـ شعور الطفل بأنه غير مرغوب فيه أو منبوذ ، وذلك نتيجة الاهمال وعدم تحقيق رغباته والتهديد المستمر بالطرد من المنزل أو عقابه للأمور التافهة ، وهذا هو السبب في بعض الحالات المرضية التي تجدها عند بعض الاطفال مثل الثورة والعناد والعدوانية ومخالفة السلطة والنظام باستمرار وتعريض نفسه أحيانا للصدمات والجروح وذلك ليفرغ انفعالاته الحاقدة على الناس الناشئة من حقده على مجتمع البيت وليثير اهتمام الناس والعطف عليه بجروحه وآلامه لانه محروم من هذه الرعاية الضرورية .

ـ افراط الابوين فى التسامح والتســاهل والصفح وهذا يؤدى الى عدم نضجهم الانفعالى وعدم أخذهم الامور بجدية وتحملهم نتائج الفشــل فى الحيــاة لانهم عندئذ ينتظرون من الناس آن يكونوا كالابوين فى الصفح وعدم العقاب والحساب .

ـ الافراط فى رعاية الاطفال وحمايتهم .

ـ الصرامة والقسوة من جانب الوالدين فى معــاملة اطفالهم اذ ان الافراط فى القسوة والرعاية كلاهما يؤديان الى نتائج سيئة .

ـ الطموح الزائد من الآباء .

فقــد يرغب بعض الآباء فى أن يتخرج ابنــه دكتورا كبيرا أو عالما فيلسوفا دون مراعاة استعدادات وامكانيات ابنه وميوله وقدراته ونتيجة لهذا يضغط عليه فى العمل والمذاكرة فيضجر الطفل من هذه العملية ويتكون عنــده انفعال مضاد لهــذا الاتجاه ، وبالتالى يتكون انفعــال عدوانى على الوالد ثم أخيرا يســقط هــذه الانفعالات المضادة العدوانية على غيره فى المجتمع (١) .

**بعض المبادىء الهامة فى تربية المراهق وتوجيهه :**

لعل اصعب مراحل التربية هى تربية المراهق ، كمــا ان أصعب المراحل التعليمية هى المرحلة الثانوية ، لان المتعلمين فيها كلهم مراهقون وقد تحير رجال التربيــة فى العالم فى أمر التربية فى هذه المرحلة ، وقد أشرت الى بعض أسباب ذلك عند ذكر مراحل النمو وأهمهــا ان المراهق يمر بمرحلة بين الطفــولة والرجــولة وان قدراته فى مرحــلة نمو سريع ولهذا فهو يشــعر بحالة تغير مفاجىء غير مستقرة فشــعوره من ذاته يصــبح

(١) الصحة النفسية ص ٦٧

مترددا بين الطفولة والرجولة ومعاملة الناس له يتردد كذلك بين الامرين .

ولهذا اعتنى التربويون بتربية المراهق وذكروا المبادىء والطرق والاساليب التربوية الصحيحة لذلك ، وفيما يلى أشير الى بعض هذه الاساليب الهامة وأحيل المستزيد منها الى قراءات متخصصة فى هذا الموضوع .

ولننتقل الآن الى ذكر هذه المبادىء وشرحها ..

**أولا :** يجب أن يفهم الآباء مشاعر أبنائهم المراهقين واحساساتهم .

معروف ان المراهقين يميلون الى تأكيد ذاتيتهم ويحبون أن يظهروا شخصياتهم وأن يظهروا بالمظهر المثالى ويميلون الى مقاومة السلطة والضغط ويرغبون فى أن تحترم شخصيتهم وآراؤهم ويضيقون من النقد الصارخ والسخرية منهم والتنقيص من شخصياتهم ، ولا شك ان هذه الصفات موجودة بدرجة من الدرجات فى أى انسان الا انها تكون ملحوظة وملحة عند المراهقين بدرجة زائدة عن المعتاد ، وهى توجد بدرجة اقل من المألوف فى مرحلة ما قبل المراهقة .
وكلما كانت الرغبات شديدة وملحة ، تركت أثرا أكبر عند تحقيقها أو عدم تحقيقها .

ولهذا فعلى الآباء أن يفهموا أبناءهم ويفهموا مشاعرهم في هذه المرحلة ، وعليهم ان يتعرفوا على الخبرات الماضية التى مر بها هؤلاء فى المراحل السابقة ، فهذه الخبرات الناتجة عن معاملاتهم سواء كانت مؤلمة أو سارة تؤثر فى سلوكهم الحاضر وفى معاملاتهم لافراد البيت وتؤثر فى اتجاههم عن طريق اللاشعور .

**ثانيا :** ان يكون الآباء صرحاء وأمناء مع ابنائهم .

**ثالثا :** أن يحيوا مع أولادهم ويعيشوا مع مشاعرهم ورغباتهم وخبراتهم .

**رابعا :** ينبغى ان بروض الاباء والامهات انفسهم على مواجهة مشاعر الغضب عند المراهقين بحكمة ..

وان يتيحوا فرصا لهؤلاء الابناء ليفرغوا من شحنات انفعالاتهم ويسقطوا ما فى نفوسهم من مشاعر مكبوتة ، وعليهم أن يستقبلوا كل هذا منهم بصدر رحب وحكمة واناة ثم يشرحون لهم لماذا يغضبون هذا الغضب ويسقطون هذه الانفعالات .

**خامسا :** أن يعيشوا مع أبنائهم فى جو أبوى عاطفى تسود فيه المحبة والمودة والعطف والحنان . هذه الامور تجعل الابناء لا يستريحون الى مجالسة الناس كما يستريحون الى مجالسة الآباء ولايتمتعون بمصاحبة مثل مصاحبة آبائهم وأمهاتهم ، لانهم لا يجدون احدا يفهمهم ويوجههم ويخلص فى توجيههم كالوالدين وهذا يمنعهم من مصاحبة الرفقاء الاشرار والفاسدين وكل هذه الامور أهم فى هذه المرحلة من غيرها .

## التربية العاطفية

العاطفة تكوين سيكولوجى وقوة دافعة تدفع الانسان الى القيام بسلوك ايجابى أو سلبى ازاء أشياء مادية أو معنوية ، وتختلف من شخص الى آخر من حيث موضوعها وعددها ونوعها ودرجة قوتها أو ضعفها ويمكن تغييرها وتبديلها وتكوين عاطفة جديدة بالطرق التربوية .

وللعاطفة مظهران : مظهر المحبة ، ومظهر الكراهية .

ان كل انسان يحب أشياء فى الحياة ويكره أشياء سواء كانت هذه الأشياء مادية أو معنوية ، غير أن هذه المحبة وتلك الكراهية لا تنشآن عبثا أو بدون سبب

ولا تنشآن كذلك بين يوم وليلة ، وانما تتكونان عند الفرد نتيجة خبرات متوالية سارة أو مؤلمة ، أو بدافع فطرى كامن فى طبيعة الانسان .

فلا تتكون عاطفة المحبة مثلا عند انسان ازاء آخر الا اذا رأى منه ما يسره مرات متوالية أو رأى منه منافع متعددة متوالية .. كما لا تتكون عاطفة القرابة أو عاطفة الاسرة الا بهذه الطريقة ، فالانسان يحب أقرباءه عادة لانه رأى منهم أشياء سارة من النفع والعطف والرعاية زمنا طويلا .

وقد تكون نتيجة واقع فطرى مثل عاطفة الابوة والامومة نحو الابناء . وقد تتكون نتيجة التربية والتلقين

هذا ويمكننا ان نلخص أهم أهداف نستطيع تحقيقها عن طريق التربية فى مجال العاطفة فى الاهداف الآتية :

الهدف الاول : تكوين العواطف الجديدة فى مختلف موضوعات الحياة القيمة .

الهدف الثانى : ازالة العواطف الضارة المتعلقة بالموضوعات التافهة غير اللائقة بالحياة الانسانية. وذلك عن طريق خلق عواطف مضادة لها وأقوى منها لان القوى يمحو الضعيف ، فالعاطفة تحارب بالعاطفة لا بشىء آخر ، كما ان الافكار تحارب بالافكار .

الهدف الثالث : التخفيف من حدة بعض العواطف القوية الشديدة التى تضر صاحبها وذلك بحذف بعض عناصرها ، أو اضافة عناصر أخرى مضادة لها .

وأهم الطرق لتحقيق هذا وذاك هى الطرق الآتية :

**أولا** : طريقة الخبرة ، أى نجعل الطفل يمر بخبرات سارة ازاء انسان أو موضوع أو فكرة أو عقيدة أو مذهب الى آخره اذا أردنا أن نكون عنده ازاءها عاطفة

المحبة ونجعله يمر بخبرات مؤلمة اذا أردنا أن نكون عنده ازاءها عاطفة الـكراهية .

**ثانيا** : طريقة التلقين والايحاء : أى أن يلقن الآباء أو التربويون عموما لابناء الامور التى ينبغى أن يفعلوها ، وذلك بالتحسين والتحبيـذ والايحاء بفائدتها وقيمتها وأن يلفتوا نظرهم الى قيم الامورالتى ينبغىأن يتجنبوها وأن يبتعدوا عنها .

**ثالثا** : طريقة الجمع بين الامرين معا ان أمكن ذلك ، أى أن نجعل الطفل يمر بخبرات سـارة أو مؤلمة ازاء أمور ويصحب الاولى الايحاء بالتحبيـذ والتحسين ويصحب الثانية الايحاء بالتقبيح والتنفير .

وينبغى ان يبدأ فى ذلك كله من الصغر لان الخبرات كلما زادت والايحاءات كلما توالت أدى ذلك الى تكوين عاطفة قوية .. وعلى الاباء أن يحددوا الاتجـاه الذى ينبغى أن يسير عليه أبنـاؤهم فى الحياة وأن يجددوا العقيدة الاسلامية الصحيحة التى ينبغى أن يعتنقوها والقيم الاسلامية الصافية التى ينبغى أن يسيروا عليهـا وأحسن مجالات الحياة التى ينبغى أن يعملوا فيها .

كما ينبغى أن يضعوا أمام أعينهم فى الاعتبار الاول خلق عاطفة الحب الاجتماعية والانسانية وعاطفـة حب الجمال والعلم والحق والعدل وأن يخلقوا فيهم عاطفة كراهة الظلم والجهل والقبيح من السلوك وكل ما هو مكروه وبغيض فى الحياة وفى الطبيعة .

ان العاطفة مهمة للانسان فى حياته لانها تدفع الانسان الى فعل الاشياء التى يتعاطف معهـا وتدفعه الى ترك الاشياء التى يكرهها بدافع داخـلى ، بشرط أن تكون العاطفة وراء العقل وأن يكون العقل قائدها والا ستكون تصرفات الانسان غير معقولة قد تسوقه الى المهالك

وكم نرى من هؤلاء الذين تسيرهم عواطفهم لا عقولهم يقضون كل حياتهم فى الحزن والبكاء ، لا اشىء الا لان واحدا من الاقرباء قد توفى ، أو أحدى محبوباتهم قد فارقتهم ، وكم نرى منهم من ينتحر أو يقبل على ذلك الامر من أجل حب أو كراهية ، وما ذلك الا لانهم قد جعلوا عاطفتهم قائدة لهم فى الحياة ، فلكى تكون حياة الانسان متزنة لابد من أن توضع العاطفة وراء العقل ، ثم ان العاطفة تعتبر روح الحياة لان الاعمال والسلوك بدون عاطفة تعتبر قوالب صورية روتينية بدون روح فهى لذلك تكون مملة ومتعبة ، أما العاطفة فانها روح الاعمال وروح النشاط .

كما ان القيام بأعمال بدون عاطفة يجعلها مملة ، بالاضافة الى ذلك لا يمكن أن تترك من ورائها الشعور باللذة ولا عند القيام بها ، وكذلك عند الابتعاد من الاعمال التى ينبغى أن يتجنبها فانه ان لم يكرهها بقلبه لا يجد فى تجنبها أى لذة أو سرور .

أما العمل مع العاطفة أو مع المحبة فانه يجعل الانسان يشعر بالارتياح واللذة ولو شعر أثناء العمل بالارهاق والتعب من جهة أخرى .

وهكذا يجب ان يهتم الآباء بتكوين العاطفة عند أبنائهم ، عاطفة المحبة نحو الاسرة ونحو المجتمع ونحو الانسانية ونحو الدين ونحو القيم الانسانية ، وأخيرا نحو جميع جوانب الحياة القيمة ، وأن يكونوا عندهم الي جانب ذلك عاطفة الكراهية للأفكار الهدامة ، والاتجاهات الخبيثة والنزعات العدوانية والسلوك البغيض وأن يكرهوا كل جانب من جوانب الحياة المنفرة والدنيئة ومناظرها القبيحة أيا كان لونها وشكلها وبذلك يحب الأبناء كل ما هو جميل وحسن

ونافع لهم وللناس ويفعلونه ويدعون الناس الى فعله ، كما يكرهون كل ما هو قبيح ومنفر وضار للغير والمجتمع ثم يتجنبونه ويدعون الناس الى تجنبه والابتعاد عنه .

وهذا من أهم الامور فى تربية الابناء واعدادهم اعدادا سليما للحياة السعيدة .

## التربية الاجتماعية

ان أهمية التربية الاجتماعية للأطفال فى البيت ترجع الى أساسين هامين :

الاساس الاول : هو انه كلما كان الطفل صغيرا عند خضوعه لعملية التربية الاجتماعية كان أثر التربية أشد وقعا واكثر فائدة ، لانه يكون فى تلك الحالة أكثر قابلية للتطبع الاجتماعى وأكثر مطاوعة له .

الاساس الثانى : أثر أوان تفتح الطفل للحياة الاجتماعية له دور كبير فى تحديد وتنظيم الجانب السيكولوجى من شخصية الطفل الاجتماعية فى حاضره ومستقبله فاذا كان هذا الاتصال أو هذا التفتح الاول للحياة الاجتماعية سلبيا كان اتجاهه للجماعة سلبيا واذا كان ايجابيا كان اتجاهه ازاءها ايجابيا أيضا ، أى اذا كان هذا الاتصال محققا للحاجات السيكولوجية والبيولوجية للطفل كان تجاوبه مع المجتمع واتجاهه نحوه سليما ومقبولا .. ، أما اذا كان غير محقق لهاتين الحاجتين كان اتجاهه نحوه شاذا منحرفا عدوانيا .

واهم اهداف التربية الاجتماعية هو جعل الناس أسوياء اجتماعيا ، أسوياء فى المواقف الاجتماعية المختلفة اى أن يقف فيه كل فرد بحسب المعايير الاجتماعية العامة السائدة فى مجتمعه وهذا يظهر بوضوح فى احترامه للقيم الاجتماعية واحترامه لمشاعر الناس ،

واحساساتهم "الادبية والانسانية ، ثم مراعاته" مصلحة الجماعة بوجه عام ومصلحة الافراد الذين تجمعهم حياة مشتركة بوجه خاص .

فالخروج على هذه المعايير الاجتمـــاعية وعدم مراعاة هذه الامور السابقة فى حياته يعتبر انحرافا عن السلوك الاجتماعى وشذوذا فيه .

هـــــذا جانب هام من السلوك الاجتماعى بالنسبة للمجتمع وبالنسبة للفرد أيضا لان عدم استطاعة الفرد أن يقف فى المواقف الاجتماعية كما ينبغى أن يقف فيها كانسان من الناس ، أو كفرد من المجتمع مثـــل عدم استطاعته مخاطبة الناس فى محفـــل اجتماعى أو عدم قدرته على ابداء آرائه وافكاره للناس بالطريقة المرضية لنفسه ولغيره سواء كان ذلك لخجل منه أو لعدم اعداد أسرته له للوقوف فى هذه المواقف .. مثل هذه الحالات لاشك تؤدى الى الفشل فى نواحى الحياة الاجتماعية .

وأهم الشروط التى يجب مراعاتها فى عملية التربية الاجتماعية لتكوين انسان سوى هى الشروط الآتية :

**أولا :** أن يشعر الطفل منذ تفتحه للحياة الاجتماعية فى البيت بالامن والاطمئنان والاستقرار ، ولكى يتحقق هذا الشعور ينبغى توفير حاجاته الاولية وعــدم تهديده بالحرمان أو التشريد أو غير ذلك ، ثم اســـتقرار معاملة الاسرة له ، فلا تتناقض معاملة الافراد له بين يوم وليلة مثلا .

واذا لم يشعر الطفل بالامن والاستقرار فى حيـــاته الاجتماعية وفى علاقته بغيره سيطر على نفسه الشعور بالقلق والقلق عامل قاتل لنشاط الانسان وحيويته فى الحياة وهو من عوامل فشل الانسان فيها ، بالاضافة الى هذا فانه لا يترك الانسان يشـــعر بالســـعادة فى حياته ،

ليس هذا فحسب ، بل انه لا يشعر بالراحة ولايستريح اطلاقا لاحد ولا للحياة ، وقلقـه هـذا لا يقتصر على يقظته فقط ، بل فى نومه أيضا ، من هنـا نجد بعض الاطفال لا ينامون نوما هادئا ، فنجدهم يبكون فى منامهم ويصرخون ، ويستيقظون فجأة وهم فى ذعر ورعب

**ثانيا :** تجنب القسوة فى معاملة الطفل ..

لان هذه المعاملة القاسية تخلق فى نفسه العدوانية ، لا على أفراد أسرته فحسب ، بل على المجتمع كله .

ولهذا يكون هـذا الطفـل فى كبره شاذا فى سلوكه منحرفا فى أخلاقه ، عدوانيا على المجتمع ، يتعدى على هذا وذاك ، بسبب وبغير سـبب ، أو لامور تافهـة لا تكون عادة سببا للتعدى ، بل انه يبحث عن وسائل يتذرع بها للتعدى على الناس وعلى المجتمع ، ويحاول أن يخرج باسـتمرار على القانون وعلى السـلطة وعلى معايير المجتمع وعاداته .

**ثالثـا :** عدم تدليـله والافراط الزائد عن الحد فى رعايته ..

لان الطفل المدلل فى حياته الاسرية يخرج على المجتمع وهو ينتظر منه التدليل وتحقيق جميع متطلباته والصفح والعفو عن جميع زلاته ، ولا يستطيع مواجهة الصـعاب والمشكلات لانه تعود أن تحل له جميع مشكلاته وألا يترك لمواجهة أى صعوبة فى الحياة ولذلك يفشـل فى حياته العامة . اذن فان التدليل يؤدى الى انحراف معين ، كما ان التربية القاسية تؤدى الى انحراف آخر .

وان كان أحد الانحرافين أقل ضررا على المجتمع من الآخر ، الا انهما سيان بالنسبة للفرد المنحرف ، لانه لا يمكن أن ينجح المعتدى المنحرف فى حياته الاجتماعية كذلك لا يمكن أن ينجح المدلل المنحرف فى نفس الحياة ،

واخيرا لا يمكن كذلك أن ينجح الانسان القلق فى هـذه الحياة .

اذن فالانسان الاجتماعى هو انسان سوى فى المجتمع وهو لا يكون قلقا فى حياته الاجتماعية ولا يكون قاسيا فى معاملة الناس ومعتديا عليهم ولا يكون كذلك مدللا كالطفل لا يستطيع مواجهة صعوبات الحياة ومشكلاتها الى جانب هـذا وذاك يقف فى المواقف الاجتماعية كما ينبغى أن يقف فيها ويكون هادئا فى معـاملته للنـاس ووازنا للأمور بموازين القسط والعـدل ويعالج الامور بصبر واناة ، ولا يكون كذلك عاطفيا زائدا عن الحد فى حساسيته ولا يكون منفعلا يخرجه انفعاله عن رزانته وحكمته .

ثم لا يكون لواما يؤاخذ النـاس حتى على هفواتهم البسيطة ويحاسبهم عليها حسابا عسيرا ، بل يكون متسامحا فى أمور لا ينتج عن التسامح فيها الضرر على المجتمع ولا يكون سببا لتمادى المخطىء فى اخطـائه ، ويكون لينا مع الناس الذين ينفعهم اللين ، ويكون حازما مع الناس الذين لا ينفعهم الا الحزم والشدة ، يعرف الناس على سجيتهم ويضعهم فى منازلهم .

وهو فى ذلك كله يراعى المعايير الاجتماعية العامة ، ويراعى مصلحة الناس ويحترم مشاعرهم وحقوقهم .

لهذا ، فعلى الآباء والامهات أن يضعوا أمام اعينهم ان البيت أهم مدرسـة لتطبيق المبـادىء الاجتماعية وتطبيع الافراد تطبيعا اجتماعيا .

وينبغى ان يعلمـوا ان الشر يأتى الى المجتـمع من البيت وكذلك الخير يأتى الى المجتمع من البيت وعليهم أن يجعلوا بيوتهم منبع خير لا منبع شر .

## التربية الخلقية

اتفق التربويون على ان التربيــة الاخلاقيــة تعتبر اصعب جانب فى التربية عموما ولعل صعوبة الامر ترجع الى أن التربية هنا تعتمد على تربية النفس ، وتربية النفس أصعب من تربية الجسم ، لان العلم بشأن هذا الاخير قد تقدم واكتشف الـكثير من قوانينه ، بخلاف الاولى فان قوانين علم النفس لا تزال مجهولة ، وما اكتشف منها لا شيء بالنسبة لما لم يكتشف بعد .

كما اتفقوا على ان التربية الخلقية الزم تربية للحياة الانسانية ، فحياة الجماعة ومدى نجاحها وسـعادتها واستقرارها مرتبطة بحياتها الاخلاقية ، والاخلاق من أهم الصفات التى تميز الانســان من الحيوان والحياة الانسانية من الحياة الحيوانية .

والانسان الـكامل هو الانسان العالم صاحب الخلق وان كانت الصــفة الثــانية أهم من الاولى ، ذلك ان الأنسان الجاهل صاحب الخلق خير من العالم اللا أخلاقى ، لان الثانى أضر بالناس وبالمجتمع من الاول ، والعالم الفاسد أكثر فتكا بالمجتمع من الجاهل الفاسد ، لان الثانى مهما كان فتاكا فضرره محدود لا يتجاوز حدود أفراد معينين ، أما العالم الفاســد فانه يستطيــع أن يفسد المجتمع باسره ، بل المجتمعات بأسرها .

وفى مجال التربية والتعليم ، اما أن نربى انســانا متعلمــا فاضلا أو لا نربى ولا نعـلم ، لاننا اذا علمنــا انسانا ولم نعلمه أخلاقا ، فكأننا ربينا متعلما يستطيع أن يكون لصا ماهرا ، أو خائنا بارعا يبيع الوطن ! ..

وبالرغم من ادراك التربويين لهــذه الحقيقـة ، فان التربية الاخلاقية لم تأخذ مكانها اللائق فى مجال التربية

والتعليم ، ليس فى مجتمعنا فقط ، بل فى المجتمعـات كلها وان اختلفت فيما بينها بدرجة الاهتمام فى ناحيـة معينة من الاخـلاق ، وليس المســئول عن هذا وزارات التربية والتعليم فى الدرجة الاولى فقط ، بل الآباء هم المســئولون عن التربيـة الاخـلاقية بدرجـة أكثر من مسئوليات وزارات التربية والتعليم ، أو بعبارة أعم ، ان مسئوليات البيت عن تربية الابنـاء بها ، أكثر من مسئولية المدرسة ، وربما تزيد مسئولية الثانية عن الاولى فى شىء واحد ، وهو التسوية بين التلميـذ المتخلف والتلميـذ الفاسق الفاجر المشاغب ، اذ انها تعطى شهادة حسن سير وسلوك للتلميذين بنفس الدرجة بالرغم من تفريقها بينهم فى الدرجة العلمية فى الشهادة ، وربما ينظر الناس الى هذه المسألة بشىء من التهاون ، الا انها فى نظرى خطأ كبير لا يغتفر للمدرسة ولها مغزى كبير قد لا يكون مقصودا ، الا انها تؤثر فى التربيـة الاخلاقية تأثيرا كبيرا بطريق غير مباشر .

والخطأ الثانى للمدرسة فى هذا المجال هو التناقض اذ انها تقرر فى المواد المقررة التربية الاخلاقيـة ، ثم تسوى بين الجميع فى اعطاء الشهادة الاخلاقية .. فاذا كانت لا تعطى أى أهمية للأخلاق فلماذا تقررها ، واذا كانت تعطى لها أهمية فلماذا لا تفرق بين التلاميذ فى اعطاء الشهادة ، كما تفرق بينهم فى التقديرات الاخرى فى المواد المقررة الاخرى .

هذا الخطأ وذاك لايمكن ان يغتفر للمدرسة لانه خطأ أخلاقى وخطأ علمى معـا ، خطأ أخـلاقى لانها لا تعطى الاهمية للأخلاق التى هى الزم وأهم مادة للحيـاة الاجتماعية بصفة عامة وحياة المتعلمين بصفة خاصة ، وخطأ علمى لانها تناقض نفسـها وهى فى أحسن مركز علمى كمؤسسة علمية وتربوية وتعليمية معا .

ولا نقول ان الاخلاق اهم للحياة الاجتماعية فحسب بل نقول انه لا يمكن أن توجد الحياة الاجتماعية بدون الاخلاق ، اذ لو سادت فى الحياة الاجتماعية الخيانة ، والرشوة ، والفاحشة ، والغش ، والكذب ، والظلم ، وعدم الاخلاص والتعاون والمحبة والمودة والرحمة ، فكيف تستقيم حياة الجماعة والحالة هذه ؟ وكيف يشعر الافراد بالاطمئنان ؟ وكيف يستريح بعضهم الى بعض فى المعاملة والمصاحبة .. ؟ لاشك أنها لا تستقيم بأى حال من الاحوال .

ولو شرحنا هنا نقطتين هامتين فى هذا الصدد ، فلربما ظهرت أهمية الاخلاق والتربية الاخلاقية بشكل أوضح .

النقطة الاولى : مجال الاخلاق أو ميدانها .. ، وهذا الموضوع ربما يختلف باختلاف النظريات الاخلاقية ، ولا أستطيع بيان هذه النظريات المتعلقة به هنا ولذلك فاننى سوف أقتصر على النظرية الاخلاقية الاسلامية .. فمجال الاخلاق فى الاسلام هو هذا الكون كله ، هو علاقة الانسان بالكائنات الحية فى هذا الكون ، وهذه العلاقة المرسومة من قبل الاسلام فى ضوء فلسفة عقيدته هى بشمولها هذا ميدان الاخلاق الاسلامية ، ومن ثم يدخل فى نطاق الاخلاق الاسلامية علاقة الانسان بالله ، وتسمى العبادات ، وعلاقة الانسان بالانسان ، وهى الشريعة ، وبالكائنات الروحية وبالحيوانات الموجودة ، ويدخل هذا فى قسم الآداب العامة ، لان الاسلام يأمر بالادب مع الله ، ومع الناس ، ومع الحيوانات ، ومع الملائكة ، وربما كان أوضح دليل على هذه النظرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لاتمم مكارم

الاخلاق » (١)

نحن نعرف ان أداة « انما » في البلاغة العربية تعد أداة حصر ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يحصر هدف رسالته في الاخلاق ، ثم كلمة « لاتمم » كلمة مهمة أيضا لان الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر في حديث آخر ، انه جاء ليكمل الرسالات السماوية السابقة ، فقال : « مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة فأنا موضع اللبنة ، فختمت الانبياء » (٢) .

واذا كان هدف رسالته هدفا أخلاقيا وانه جاء لاتمام الرسالات السابقة ، فان هدف الرسالات السابقة هدف أخلاقي أيضا وان الاسلام جاء ليكمل البناء الاخلاقي الذى بدأ به آدم عليه السلام وأكمله محمد صلى الله عليه وسلم .

واذا كان هدف الاخلاق ــ كما قال معظم الاخلاقيين ــ هو سعادة الانسان ، اذن فهدف الرسالات السماوية هو سعادة الانسان ليس في الدنيا فقط ، بل في الآخرة أيضا ..

واذا كان هدف أخلاق الاسلام أو الاسلام بوجه عام هو السعادة وهدف الصحة النفسية في علم النفس هو السعادة أيضا فانهما يتفقان في الهدف والحق انى ما رأيت مبدأ من مبادىء الصحة النفسية سواء كانت هذه المبادىء متعلقة بتخليص الانسان من الامراض

---

(١) اخرجه احمد والحاكم والبيهقى من حديث ابى هريرة وذكره الغزالى فى الاحياء ــ كتاب رياضة النفس ــ وتهذيب الاخلاق ج ٣

(٢) صحيح مسلم ــ باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء ج ١٥ ص ٥٢

النفسية أو الوقاية منها ، أو كانت متعلقة بادخال السعادة في نفس الانسان .. ما رأيت مبدأ من هذه المبادىء الا وجدته فى الاسلام نفسه ، بل بالاضافة الى هذا وجدت من مبادىء الاسلام فى ميدان الصحة النفسية لم يصل اليها علماء النفس بعد .

النقطة الثانية : ان التربية الاخلاقية تهدف الى بناء شخصية خلقية أو بعبارة أخرى شخصية انسان كاملة . واذا كان الامر كذلك فان أهميتها تظهر بوضوح فى تربية الاطفال وهم صغار لان بناء الشخصية ينبغى أن يبدأ مع بناء التكوين البيولوجى للفرد وأن ينمو هذا البناء مع تطور ذلك التكوين ويكتمل مع اكتماله حتى تصبح الاخلاق طبيعة ثانية للطفل فى كبره .

ومن هنا يبدو بوضوح دور الآباء فى بناء هذه الشخصية ومسئولياتهم ازاءها ولا سيما فى مرحلة ما قبل المدرسة .

## مبادىء التربية الاخلاقية

هناك مبادىء فى التربية الاخلاقية لابد من تطبيقها فى عملية التربية الخلقية ، أهم هذه المبادىء هى :

المبدأ الاول : خلق الثقة فى نفسية الطفل .

ويشمل الثقة بنفسه والثقة بغيره ، ولا سيما بالمربى ، والثقة بأن الانسان صانع سلوكه ويستطيع تغييره وتبديله اذا شاء .

المبدأ الثانى : خلق المحبة والتعاطف بين الطفل وبين أفراد البيت من جهة ، وبينه وبين الناس من جهة أخرى .

المبدأ الثالث : اشعار الاطفال ان المبادىء الخلقية نابعة من داخل الانسان وليست قوانين مفروضة عليهم من المجتمع لانها مبادىء انسانية تميز بها الانسان عن غيره من الحيوانات ، وانها ضرورة اجتماعية لا تقوم

للمجتمع قائمة بدونها .

المبدأ الرابع : ان التربية الخلقية لا تتم ولا تقوم لها قائمة بدون تربية قوة الارادة ، فتكوين قوة الارادة هو المبدأ الاساسى فى التربية الاخلاقية ولا يستطيع الانسان أن يطبق المبادىء الاخلاقية فى كل المواقف وفى كل الظروف بدون أن يملك قوة الارادة ، ومظاهر قوة الارادة هى الشجاعة فى مواجهة الحياة وألوانها المختلفة حلوها ومرها ، والثبات على المبادىء التى يؤمن بها والاستمرار فى تطبيقها مهما كلفته من العناء والمشقة .

المبدأ الخامس : خلق احساس خلقى عند الاطفال .

وهذا يتم عن طريق أشعار الطفل بانسانيته وعدم زجر الطفل وعقابه وتهديده بكثرة ، واذا كان لابد من زجر وعقاب ، فينبغى أن يكون ذلك بأخف ما يمكن .

المبدأ السادس : ان التربية الاخلاقية ينبغى أن تهدف الى بناء الشخصية الخلقية من الداخل ، اى من داخل الفرد ذاته .

وهذا يتم عن طريق تشرب الطفل المبادىء الخلقية وهذا لا يمكن أن يتم عن طريق التلقين الصورى المتبع عادة فى بلادنا فالآباء والمدرسون عادة يلقنون الاطفال المبادىء الخلقية بطريقة « افعل هذا واترك هذا ، وهذا حسن وذاك قبيح » وهذه الطريقة قد يقبلها الطفل أو لا يقبلها وقد يقبلها ظاهرا ولا يقبلها باطنا .

أما التربية الخلقية الداخلية فانها تتم عن طريق الخبرة التى يباشرها الاطفال ويصلون عن طريقها الى النتيجة الاخلاقية بأنفسهم ثم شرحها شرحا عقليا مقنعا ، واذا اتبعت عند ذلك طريقة التقلين بالتقبيح والتحسين فانها لاشك تؤثر فى نفسية الطفل تأثيرا أكثر وأعمق .

وبناء الشخصية من الداخل لا يتم بين يوم وليلة ، فانه يحتاج الى وقت طويل ، وهذا البناء أصعب من بناء العمارات وبناء المصانع ، وكما ان بناء الشخصية الخلقية صعب ويأخذ مدة طويلة كذلك هدمه صعب ويأخذ مدة طويلة .

المبدأ السابع : تطبيع الاطفال تطبيعا خلقيا .

اى جعل الاخلاق طبيعة ثانية وبذلك تصبح المبادىء الاخلاقية عادة يقوم بها الاطفال ، ولا يستطيعون مخالفتها لان النفس ليس من السهل عليها أن تخالف عاداتها .

المبدأ الثامن : وجود الفروق بين الافراد واختلافهم فى طريقة التربية الاخلاقية يوجب على المربى أن يقف من طفله موقف الطبيب يتعرف على طبيعته فيعمل بمقتضى علمه لان بعض الطبائع لرقة شعورها واحساساتها الرقيقة تكفيها النظرة العامة واللفتة الصغيرة لزجرها وتأديبها ، وبعضها الآخر لاينزجر الا بالشتيمة وبعضها الثالث لا ينزجر الا بالضرب ، لان طبائع هؤلاء قد فقدت رفاهة الاحساس الانسانى ولم يبق منها الا الاحساس الحيوانى الذى لا ينتبه الا بالالم الحسى ، ولهذا أجاز الاسلام الضرب لاصحاب هذه الطبائع اذا ما امتنعوا عن أداء واجبهم حين يبلغون من العمر عشر سنوات أو اكثر .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » أى اضربوهم فى هذه المرحلة اذا امتنعوا عن أداء الصلاة ولم تفدهم وسيلة أخرى ..

ان هذا الضرب مشروط بألا يكون مبرحا وألا يكون

فى الوجه ، كما ورد فى النصوص الاخرى .

وعلى اى حال فالضرب فى التربية الاسلامية مع الشروط السابقة وسيلة للتنبيه وليس وسيلة للتربية لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأمر دائما بالرفق والرحمة بالصغار ،وقد ثبت نجاح التربية بوسائل المكافأة والتشجيع ، أما اثر التربية بالعقاب فلم يصل العلماء الى نتيجة قطعية بصدده وان قال أغلبهم ان العقاب كوسيلة تربوية غير ناجح بوجه عام .

## طرق التربية الاخلاقية

أهم طرق التربية الاخلاقية :

أولا : القدوة الحسنة .

الطفل فى بداية حياته لايستطيع تقييم المبادىء الا على أساس ما يفعله الكبار ، فما يفعلونه فهو حسن ، وما يتركونه فهو قبيح . فالتحسين والتقبيح فى هذه المرحلة لايبنيان على التقييم العقلى ، وانما يبنيان على التقليد اذن فالاطفال يتعلمون السلوك من الكبار فى هذه المرحلة عن طريق المحاكاة والتقليد .

وقوة المحاكاة عند الاطفال قوة عجيبة يتفوقون بها على الكبار وأهم مظاهر المحاكاة فى هذه المرحلة السلوك واللغة ، اى اخراج اصوات اللغة كما هى ولهذا يقال اذا تعلم الانسان لغة من اللغات فى صغره انها لغة الام ، أى تعلمها فى صباه من الام عن طريق المحاكاة .

وكذلك محاكاة الحركات فلا يستطيع احسن ممثل محاكاة سلوك الاشخاص كمحاكاة الاطفال الصغار ، ثم انهم فى هذه المرحلة يسجلون كل ما يرون من سلوك الوالدين ويلاحظون كل حركاتهم ويشاهدون كل أحداث تحدث حولهم ، قد يظن الكبار أنهم لا يدركون معانيها

ومغازيها .. حقا قد لا يدركون هذا ، ولكنهم يسجلونه وقد يحمل عندهم الكثير من المعانى وقد لا يحمل معنى قط ، الا انهم سيفسرونه فيما بعد ويتأثر سلوكهم به

الطريقة الثانية : تقديم الحقائق الموضوعية عن المبادىء الاخلاقية .

وهذه الطريقة تعتمد على الاقتناع النظرى للأطفال واستخدام النتائج العلمية فى مضار سوء الاخلاق .. كيف ان الزنا ينقل الامراض ، وكيف ان الخمر تضر النسل والعقل وتسبب الامراض ، وكيف ان الغش والكذب يفكك أوصال المجتمع ويخل بالنظام الانسانى ، وكيف ان عدم الاخلاص فى العمل وعدم اتقان الاعمال وعدم العمل من اجل الانسانية يؤخر المجتمع .

فالاقتناع بالسلوك والمبادىء يؤدى الى تطبيقها باستمرار غالبا الا ان هذا الاقناع لا يتم فى المرحلة المبكرة من حياة الاطفال ، ولهذا كان دور هذه الطريقة بالنسبة للأطفال الصغار يأتى فى المرتبة الثانية ، أما بالنسبة للكبار فيأتى فى المرتبة الاولى ، لان الكبار لايسلكون سلوكا معينا بناء على المحاكاة والتقليد غالبا انما يسلكون هذا السلوك ويطبقون المبادىء الخلقية بناء على الاقتناع النظرى والعقلى .

الطريقة الثالثة : طريقة الممارسة والتدريب العملى . يجب اتاحة الفرص والمواقف الاخلاقية التى يختار فيها الاطفال تطبيق مبادىء أخلاقية معينة على غيرها ويكافأون على ذلك ويكون ذلك أحيانا بالتشجيع والتأييد وأحيانا بالوسائل الاخرى المناسبة لكل طفل .

**مراتب التربية الاخلاقية**

هناك مراتب للتربية الاخلاقية وهى المراتب الآتية :

المرتبة الاولى : تحديد الصورة الاخلاقية فى ذهن الاطفال .
المرتبة الثانية : هى خلق الوعى بالمبادىء والصورة الاخلاقية على أساس المعايير العقلية للسلوك الاخلاقى.
المرتبة الثالثة : خلق الشعور العاطفى والانسجام بين المبادىء الاخلاقية وبين الجانب النظرى من جهة ، وبينهما وبين التطبيق العملى من جهة أخرى .

## التربية الروحية

الروح فى نظر الاسلام حقيقة كائنة فى الانسان أودعها الله فيه لمعرفته وللاتصال به أولا ، ولتدفع الانسان الى تحمل مسئولياته الانسانية فى الحياة ثانيا ، وهى وان كانت غامضة علينا ، من حيث كنهها وجوهرها ، فانها ظاهرة من حيث آثارها فى السلوك وفاعليتها فى الابدان. ولما كانت متأصلة فى الانسان فطرية فيه ، فلا بد من أن يكون لها مطالب تتغذى بها وتتقوى بتغذيتها ، كما انها تضعف وتذبل بالحرمان منها .
والتربية الروحية تقوم أولا على أساس الايمان بالله ورسالته الى البشر وبالحياة بعد الموت ومحاسبة الانسان على كل أعماله فى هذه الحياة ومجازاته عليها فى الآخرة .
وتقوم ثانيا على اداء العبادات المفروضة من صلاة ، وصوم ، وحج ، وزكاة ، وذكر الله ، على أنه هو الخالق والرازق والمطلع على الاعمال لا يغيب عنه مثقال ذرة فى السماوات والارض ، وان هذه الحياة الدنيا حياة مؤقتة ستتحول فى النهاية اذا احسن الانسان عمله وتصرفاته الى حياة أبدية ملؤها السعادة والهناء .
وتقوم ثالثا باشعار الاطفال بأن الحياة الروحية

وسيلة لاسعاد الانسان فى الحياة الدنيا والأخرة

هذا الشعور والايحاء فى نفسية الطفل وذاتيته يجعله يشعر بالاطمئنان والراحة والسعادة والثقة والمحبة ومنهج الاسلام فى التربية الروحية يبدأ أولا بتلقين العقيدة السليمة٠لان العقيدة هى التى تتركز عليهامبادىء الاسلام وتنبنى عليها قواعده وأحكامه ، ولهذا يجب ان ترسخ العقيدة اولا فى القلوب وتغرس فى الافئدة وتثبت فى الجنان وتندمج بدم المسلم ولحمه وتجرى فى عروقه مجرى الدم .

ثم يبدأ بتعليم أمور العبادات ، ثم آداب المعاشرة مع الناس وأسلوب معاملتهم وهذا واضح فى طريقة تعليم لقمان لابنه ، انه بدأ أولا بغرس عقيدة التوحيد فى نفس ابنه ، وذلك بنهيه عن الشرك بالله ، قال تعالى : « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » ، ويتبع ذلك بذكر أوصاف يصور بها له عظمة الله وعلمه وقدرته وقوته الهائلة تصويرا يرتعش له الوجدان البشرى فقال : « يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير » .

وبعد انتهائه من العقيدة بدأ يعلمه العبادات وفعل الخير ، والامر به ، والنهى عن المنكر ، واتباع الآداب الاجتماعية ، والصبر على ما يصيبه فى سبيل ذلك من نصب ووصب وجهد وتعب ، فقال : « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك

ان أنكر الاصوات لصوت الحمير » .

ونجد هنا ميزة هامة فى التربية الاسـلامية ، وهى انها تربط بين التربية الروحية وبين التربية الاخلاقية والاجتماعية أو بين العقيدة وبين سلوك الانسان بوجه عام

**التربية العقلية :**

ان التربية العقلية من الجوانب الهامة فى التربية ، لان التقدم العلمى والحضارى متوقفان عليها .

والتربيـة العقليـة فى عمومها هى تنمية القـدرات العقلية المختلفة بحسب ما تسمح به الاسـتعدادات الفطرية والوراثية الموجودة فى كل فرد . ولكى تحقق هذه التربية أهدافها يراعى ما يلى :

**أولا :** أن يخضع تقديم المعلومات لطبيعة النمو فنحن لا نستطيع أن نقدم أية معلومات فى أية مرحلة وبأى طريقة ، لان المعلومات أو طريقة تقديمها للطفل اذا كانت فوق مسـتواه أدى ذلك الى عدم فهمه لها من جهـة واعاقة نموه من جهة أخرى والى عدم ثقته بنفسه من جهة ثالثة . فمثلا نحن نعرف ان الطفل فى المرحلة الاولى من حياته لا يستطيع ادراك المعانى المجردة ويبـدأ فى ادراكها فيما قبل المراهقة وكذلك نحن نعرف ان الطفل يبدأ فى ادراك الاشياء من الـكلى الى الجزئى فيـدرك الاشياء أولا ادراكا كليا ، ثم ينتقل الى ادراك جزئياتها . اذن فلا يصح ان نقدم له فى المرحلة الأولى المعلـومات المجردة ، ولا يصح كذلك أن نقدم له المعلومات المناسبة لهذه المرحلة بالطريقة الجزئية .

**ثانيا :** الا نتركه بعد تقديم المعلومات الا بعد أن نتيقن إنه قد احاطها بالادراك وأصبحت واضحة فى ذهنه ، لان عدم احاطته بالمعلومات ووضوحها فى ذهنـه يجعل

المعلومات عنده مشوهة لا يستطيع تمييز بعضها عن بعض وبذلك لايستطيع استخدامها فى مواقعها ومواضعها عند اللزوم .

**ثالثا** : أن نقدم اليه المعلومات بطريقة نقدية ، أى ان نبين له جوانب النقص والكمال فيها وأن نشجعه على ابراز هذا الجانب وذاك

**رابعا** : ان تكون المعلومات التى نقدمها موثوقا بها وصحيحة ، ليكون بناء الثقافة فى ذهنه سليما فى أساسه ، فمن هنا يخطىء بعض الآباء اذ يقدمون لابنائهم معلومات خاطئة وهم يعرفون انها غير صحيحة ، وذلك اما لتخويفهم أو لصرفهم عن اجابة أسئلتهم واستفهاماتهم عن بعض الامور التى تثير أذهانهم وعقولهم

هنا تأتى اللباقة والمهارة فى التربية ، فينبغى أن يعرف الآباء كيف يجيبون على أسئلة ابنائهم بطريقة مقنعة ومناسبة لمستواهم وأن تكون اجابة صحيحة ، ليس فيها تلفيق وليس فيها تشويه للحقائق ، لان تشويه الحقائق فى هذه المرحلة معناه تشويه لعقولهم ، والى جانب اللباقة والمهارة فى طريقة الاجابة ينبغى أن يكونوا ماهرين فى تعليمهم طريقة الاسئلة أوطريقة تحويل أسئلتهم وتوجيهها الى حيث ينبغى أن تتجه اليه ، أو الى الموضوع المناسب الذى ينبغى أن يسألوا عنه ، وذلك اذا كانت أسئلتهم تتعلق بأمور لايستطيعون فهمها أو لاينتفعون بها .

**خامسا** : بيان وتقديم طرق التفكير للوصول الى الحقائق ..

يجب التمييز هنا بين التفكير العلمى والتفكير الخرافى: أما التفكير العلمى فله صور تختلف باختلاف الموضوعات العلمية ، فنحن نعلم ان هناك ثلاثة مجالات

للعلم ، الاول : مجال الطبيعة المحسوسة وهو مجال علم الطبيعة ، والثانى : مجال الطبيعة غير المحسوسة وهو مجال الفلسفة ، ومجال ما وراء الطبيعة ، وهو مجال الدين ، فمعيار الحق أو الحقيقة فى المجال الاول هو الاختبار والتجربة الحسية ، والمعيار فى الثانى هو العقل ، والمعيار فى الثالث هو الوحى الالهى

والتفكير الخرافى هو الذى لا سند له من العقل أو الدين أو التجربة العلمية المحسوسة مثل فكرة البخت والتنجيم ، فلا الدين يؤيده ، ولا العقل ، ولا العلم التجريبى .

لقد جاءنى احدهم يوما بعرضحال دمغة وطلب منى أن أكتب له طلبا الى الامام الحسين والسيدة زينب ، لتنفيذ بعض طلباته فى الحياة ويستشيرنى فى الوقت المناسب لتقديم هذا الطلب الى ضريحيهما ، والوقت المطلوب لانتظار التنفيذ ، وكان لى زميل لا يحضر الامتحان الا بعد زيارة ضريح الامام الحسين ، وكان يتعرض فى سبيل ذلك لاحتمال التأخر عن موعد الامتحان، لانه كان يخاف من السقوط والفشل اذا لم يزره قبل الدخول فى الامتحان كل يوم ، وكنت أعلم انه لا يؤدى فريضة الصلاة .. وهكذا كان يخاف من الامام الحسين المتوفى ، ولا يخاف من الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات والارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه (١) لا اريد هنا التشنيع بزيارة القبور ، اذ انه مشروع للاتعاظ والتذكر ولكن اتخاذها كآلهة من دون الله تضر وتنفع بهذه الصورة فانه بلا شك تفكير خرافى لا سند له من الدين ولا العقل ولا العلم .. وهكذا تظهر خطورة التربية

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥

العقلية فى الصغر وكيف تؤثر اذا كانت خاطئــة تأثيرا سيئا فى حياة الابناء وتوجيهها فى المستقبل ، ولا يغيرها التثقيف والتعليم فى الـكبر .

**سادسا** : تدريب الابناء على طرق استخدام المعلومات وحل المشكلات فى الحياة العملية

هذه النقطة ذات أهمية كبرى فى عملية التربية العقلية ذلك ان التعليم المجـــرد دون تعليم طــــــريقة الاستفادة منه أمر لايساوى شيئا ، وان المجهود الذى نبذله فى عملية التعليم ، والمجهود الذى يبذله الابناء من أجل التعلم اذا لم يظهر أثره فى حياتهم يعتبر مجهودا ضائعا .. أن اثر التعليم ينبغى أن يظهر فى جميع جوانب شخصية المتعلم .. فى طريقة تفكيره ، وطريقة معالجته للأمور ، وطريقة سلوكه وتصرفه مع الناس ونظرته الى العالم والى الكون والى الحياة وفى جميع مواقفه فى الحياة ، ولابد من ان يتميز المتعلم فى هذه الجوانب من الحياة عن غير المتعلم ، والا لا يعتبر متعلما ومثقفا .

فالعقلية العلميــة كمصبــاح يشع منه النور الذى يضىء ما حوله وينير طريق صاحبه فتسير تصرفاته فى ضوء نور علمه وعلى هدى القوانين العلمية .

**سابعا** : اثارة انتباه الأبناء الى الطبيعـــة وظواهرها المثيرة .. هذه الأثارة تدفع عقولنا الى البحث عن الحقيقة وعن اسباب تلك الظواهر المدهشة .. وهذا بدوره يحرك عقولنا ويوقظها من سباتها ونومها وغفلتها .

والذين يحيون حياة نشطة ويقظة ومندهشة ومثــارة هم هؤلاء الذين اثارت الطبـــيعة عقولهم ومشاعرهم واحساساتهم وقلوبهم من الفلاسفة والادباء والعلماء .

ولهذا فقد أثار الاسلام انتباه العقول وأثار المشاعر والاحساسات الى هذا الـكون والى هذه الطبيعة الحية

ليكون المسلمون واعين متيقظين الى العالم المحيط بهم ليعرفوا الله فيه حق معرفته وليعرفوا حقائقه ونظمه فينتفعوا به ، قال تعالى : « وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » — « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ، وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » (١) وقال تعالى : « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » (٢) .

وقال ايضا : « يسبح له ما فى السماوات والارض وهو العزيز الحكيم » (٣) — « ان الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ، ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده » (٤) — وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « والله لتموتون كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « الناس نيام فاذا ماتوا استيقظوا » ، وقال تعالى : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » (٥) — « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف

(١) سورة يس آية ٣٣ وما بعدها
(٢) سورة الاحزاب آية ٧٢
(٣) سورة الحشر آية ٢٤
(٤) سورة الغاشية آية ١٩
(٥) سورة فاطر آية ٤١

سطحت » (١) .

هكذا نرى ان الاسلام يلفت انظارنا الى الامور المثيره فى الكون وفى الحياة ، بعضها مجال العقل وبعضها مجال القلب وبعضها الثالث مجال الشعور والاحساس فينبغى ان تعمل عقولنا وقلوبنا ومشاعرنا فى هذه المجالات وان تبحث عن الحقائق فيها وأن نستفيد منها فى حياتنا المادية والمعنوية والادبية معا ، وأن نثير عقول ابنائنا وقلوبهم ومشاعرهم الى صفحات هذا الكون ليقرأوا فيها ويستفيدوا منها فى حياتهم ليحيوا حياة واعية يقظة نابضة بالحيوية والنشاط والفاعلية ، حتى لا يكونوا كهؤلاء الذين لا يفقهون ولا يعملون عقولهم وقلوبهم وابصارهم واسماعهم لادراك هذه الحقائق العجيبة فى هذا الكون وفى هذه الحياة ، قال تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل واولئك هم الغافلون » (٢) .

ان متعة الحياة ليست فى الحياة الحسية فقط كما يفهمها هؤلاء الانعام من البشر ، بل ان المتعة الاعمق ، والحياة الحقيقية هى ادراك حقيقة الكون وحقيقة الحياة واسرارها ومغزاها ومعرفة ظاهرها وباطنها .

وهكذا يجب ان نربى عقول الابناء تربية يستطيعون ان يحيوا بها حياة انسانية حقيقية كاملة تتوافر فيها المتعة العقلية والروحية والحسية والادبية معا .

**ثامنا** : التشجيع على البحث عن الحق بطريقة موضوعية ثم الالتزام به أو اتباعه .

(١) سورة يونس آية ١٠١
(٢) سورة الاعراف آية ١٧٩

**تاسعا :** مما يساعد على نمو العقل الاغذية والفيتامينات المقوية للذكاء أو المقوية للغدة التى تساعد على نمو الذكاء . ان نقص الغذاء اللازم يؤدى الى نقص النمو العقلى .

**عاشرا :** توجيه نشاط الطفل العقلى وتركيزه الى اعمال عقلية باستمرار وأن يكون هذا التوجيه خاضعا للأسس التربوية .

ويتعلق بهذه النقطة عملية تخليص الطفل من القلق والصراع النفسى والتشتت الذهنى والمشكلات العائلية والنفسية الاخرى . هذه الامور من أهم العوائق امام فاعلية الذكاء ونشاطه وتركيزه كما انها من الاسباب التى تعوق نمو عقل الطفل نموا سليما . بالاضافة الى هذا فانها ترهق العقل وتبدد حيويته ونشاطه ، ان العمل العقلى باستمرار وبنظام وتوجيه وتركيز لايكون سببا للارهاق وانما يكون سببا للنشاط .

***

ويجب أن يعلم الآباء والامهات ان التربية والتعليم لا يقتصران على علم معين من العلوم ولا ناحية خاصة من نواحى الحياة ، بل يتصلان بكل علم وكل معلومات وكل خبرة متصلة بحياة الاولاد المختلفة . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم افراد اسرته كل شىء حتى آداب الاكل ، فقد روى عن عمر بن أبى مسلمة انه قال : كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة ، فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا غلام سم باسم الله وكل بيمينك ، وكل مما يليك فما زالت تلك طعمتى بعد (١) .

وعليهم أن يرسلوا أولادهم لتعلم العلوم التى

(١) رياض الصالحين — باب الاكل مما يليه .

لايعرفونهـا أو لايستطيعون تعليمهم اياها لسـبب من الاسباب ، لان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولهذا طلب من الآباء ارسال أبنائهم الى طلب العلم ان كانوا جهلاء ليعودوا متعلمين فيعلمونهم ، قال تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينـذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (١) ولا أقول المطلوب هنا هو العلوم الدينية فقط ، بل أقول ان الدين هو المقصد الاول لانه طريق لهداية الانسان فى الحياة الدنيا ولانه خير موجه وخير مرشد لتوجيه الانسان الوجهة السليمة فى الحياة .

وبالاضافة الى تعليم العلوم الدينية وغير الدينية ، فعلى الآباء أن يقدموا لابنائهم خبرات حيـاتهم الطويلة التى تنفعهم فى حياتهم المقبلة ، فهذه أسماء بنت خارجة الفزارى تقدم لابنتها عند تزويجها خبراتها فى حيـاتها الزوجيـة ، فتقول : « انك خرجت من العش الذى درجت فيه فصرت الى فراش لم تعرفيـه وقرين لم تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء ، وكونى له مهادا يكن لك عمادا ، وكونى له أمة يكن لك عبدا ، لا تلحفى فيقلاك ، ولا تبـاعدى عنه فينسـاك ، ان دنى منـك فاقربى منه ، وان نأى عنك فابعـدى عنه ، واحفظى نفسه وسمعه وعينه فلا يشمن منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا » .

فما أجمل ما تقدمه هذه المرأة لبنتها من الخبرة التى تعتبر دستورا لآداب المعاشرة الزوجية وطريقـا لدوام هذه المعاشرة ، وسعادة الحياة الزوجية .

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٢

هذا ولا يحسبن الاب ان منفعة التربية والتعليم تعود عليه في الدنيا فقط ، بل من اللازم أن يعتقد ان للتعلم نفعا يعود عليه في الآخرة أيضا .. اذا عمل بعلمه الاعمال الصالحات واستغفر له ودعا له .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله من الدنيا الا من ثلاث ، علم ينتفع به ، وصدقة جارية ، وولد صالح يدعو له » .

## واجب الابنـاء نحو الآباء

ليت الابناء قدروا حق الآباء وعرفوا فضلهم عليهم حق معرفته وواجبهم نحوهم حتى يقابلوا الاحســان بالاحسان ، والفضل بالفضل ، والواجب بالواجب ، ولـكن أنى لهم ذلك ، ان أقل الواجب عليهم تجاههم الطاعة والبر والاحسان مقـابل انعامهم عليهم وتعبهم من أجلهم وهم صغار ، وكيف لا يجب على الانسان أن يطيع والديه وقد حملته أمه وهنا على وهن ووضعته وهنا على وهن ، وحملته حين كان جنينا فى بطنها ، وحملته بعد أن وضـعته فى حضنهـا على مر السنين والايام ، وكم سهرت عليه لراحته واستيقظت من نومها لصياحه ، مرضت لمرضه ، وبكت لبكائه ، والاب كد وجـد وتعب من أجل ولده رعاية لنموه ومحافظة على صحته وحياته .

فاذا كان الامر كذلك ، اليس من الواجب معاونتهما ودفع الاذى عنهما والانفاق عليهما ، ولا سيما اذا كانا قد ضعفا وعجزا ، أو مرضا وشاخا ، واخذا ينظران اليه نظرة من يطلب رد الجميل ، فهل يقابل النعمـة بالنعمة والاحسان بالاحسان ، ام يسيء اليهما بعـــد احسانهما اليه ؟ ! ..

اذن فلا غرو ، أن ذكر الله واجب احسانهما وبرهما بعد واجب توحيده وعبادته فى قوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » وقال تعالى ايضا : « أن اشكر لى ولوالديك الى المصير » .

واذن فالواجب الاول على الانسان توحيد الله وعبادته ، والواجب الثانى بر الوالدين واحسانهما ، ويجب عليه الاستمرار فى برهما والاحسان اليهما ولو كانا كافرين ، فقد روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق انها ذهبت الى الرسول صلى الله عليه وسلم تستشيره عن صلة أمها عندما قدمت وهى راغبة فى تجديد الصلة قالت : قدمت على أمى وهى راغبة .. أفأصل أمى ؟ قال : « نعم صلى أمك » لان هذا شىء ، والكفر والاشراك شىء آخر ، هذا واجبها نحوها وذلك واجب امها نحو ربها .

ولا ينبغى له أن يظهر اى سخط أو ضجر ولو بعبوس الوجه أو تحريك المنكبين أو بكلمة أف ، لان ذلك يؤذيهما مهما كان طلبهما ثقيلا ، فقال تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (١)

وكيف لايؤذيهما ذلك وهما فى هذه المرحلة من الكبر والعجز ، وكيف لا يتأثران من ذلك وقد بذلا لابنائهم كل ما لديهم من صحة ومال ولم يبق لهما الا شىء واحد هو انتظار الاحسان والبر ، ومن هنا نجد اهتمام الاديان برحمتهما ولو كان فيها تذلل لهما ، واذا كانت هناك آية فى القرآن الكريم يمكن أن نفهم منها ايحاء

---

(١) سورة الاسراء آية ٢٤ .

لتذلل الانسان لانسان فى حالة من الحالات فهى هذه الآية التى توحى الى الابن بالتذلل بالرحمة لوالديه فى هذه الحالة من الكبر فى السن .

وقد ذهب الاسلام اكثر من ذلك ، حتى انه جعل طاعتهما والعمل من أجلهما جهادا فى سبيل الله . روى ان رجلا جاء يستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد ، فقال له : أحى والداك ؟ .. قال : نعم ، قال : ففيهما جاهد ..

ولقد تحدث القرآن الكريم عما نال الذى أبر بوالديه وأحسن معاملتهما من الصفح والغفران من الله وقبول ما عمل من الاعمال الصالحة ، فقال تعالى : « حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربى اوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن اعمل صالحا ترضاه واصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون » (١) .

كما بين القرآن الكريم وبال العقوق والعصيان للوالدين ، فضرب المثل بابن عاق جاحد لا ينتصح بنصحهما ولا يذعن لرجائهما فكانت عاقبته الخسران والهلاك ، قال تعالى : « والذى قال لوالديه أف لكما اتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الانس والجن انهم كانوا خاسرين » (٢) وكان هذا ممثلا فى ابن نوح حين عصى

(١) سورة لقمان آية ١٤
(٢) سورة الاحقاف آية ١٨

أباه ولم يركب معه فى سفينته فكان من المغرقين .

ولقد اعتبر الاسلام عقوق الوالدين وقطع صـلاتهما وبرهما من كبائر الذنوب ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ألا أنبئكم بأكبر الـكبائر ، قالوا ، بلى يا رسول الله ، قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور والزنا . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، من الـكبائر أن يشتم الرجل والديه ، قالوا وهل يسب الانسان أباه ؟ فقال : نعم ، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه .

ومن عجب تعجب الصحابة من شتم الانسان أباه فى ذلك الوقت ، وكم كانوا يعجبون لو رأوا ما يحدث فى زمننا من ضرب الابناء لآبائهم وشتمهم شتما مباشرا ، وتركهم مرضى على فراش المرض دون مساعدة وخدمة ، وقطع اعانتهما وهما عاجزان عن الـكسب ، بل أشد من هذا وأمر ، نسمع هنا وهناك أحيانا أن يقتل الابن احد والديه أو كليهما طعنا بالسكين ، أوضربا بالرصاص او حرقا بالنار ، ويا ترى كيف يكون مصـير هؤلاء فى الدنيا وعاقبتهم فى الآخرة ؟ ..

غير انه ينبغي أن يلاحظ ان الاسلام بالرغم من تشدده فى عدم عصيـان أمر الوالدين ، فان الامر ليس على اطلاقه ، اذ قيد هذا فى حدود الدين فلا يطاع مثلا اذا أمر بشيء يعتبر مخالفـا للدين ، قال تعـالى : « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » (٢) .

ومثل المنع من التعليم لا لعدم قدرته المالية ، وانما لعقليته التافهة ، لان طلب العلم واجب المسلم ، ومثل الاكراه فى مسألة الزواج ، فلا يحق للوالد أن يكره بنته

(٢) سورة لقمان آية ١٥

على زواج شخص معين وهى لا تحبه أو لا ترغب فيه او اكراه ابنه على زواج بنت معينة وهو غير راض

هـذا ، وقد اشارت الآية السابقة الى نقطة دقيقة وملحوظة هامة ، وهى ان عدم الطاعة لا يستلزم قطع الصلة والخصومة ، ولهـذا قال تعالى : « فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » حتى ولو كانا كافرين ، فان عصيانهما لا يبطل الاحسان اليهما .

وهكذا نجد ان الاسلام قد وطد العلاقة بين الآباء والابناء وجعلها صلة قوية ورابطة وثيقة وأضفى عليها القداسة الدينية وقربها من العلاقة والرابطة بين الانسان وربه .

# أسس التعامل بين أفراد البيت

لابد أن يكون هناك أسس يقوم عليها التعامل بين أفراد البيت ، يؤمن بها كل واحد منهم ويسير عليها فى معاملاته مع غيره ، ولا بد أن يؤدى تطبيقها الى تقوية الروابط والعلاقات بين هؤلاء ويزيد مقدار التكيف الاجتماعى وسعادة البيت .. هذه الاسس هى :

**اولا : ان يعامل كل فرد الاخرين بما يحب ان يعاملوه به**

هذا المبدأ السلوكى والمعيار الخلقى ربما يعتبر اهم أساس ضرورى لتقوم الحياة الاجتماعية السليمة مهما كان لون هذا المجتمع وشكله ودينه ، ولقد أشاد به الحكماء والفلاسفة والاجتماعيون جميعا ، كما أشاد به الاسلام اكثر من هؤلاء جميعا حتى ربطه بالايمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » ، وليضع كل فرد المعاملة التى يريد أن يعامل بها غيره أمام عينه أولا وقبل أن يقوم بها وليطبقها على نفسه ، فاذا رضى ضميره ووجدانه وايمانه بالانسانية أن يعامله بها غيره فليعامل بها هو غيره ، ان هذا الميزان يمثل خير تمثيل ميزان خيرية السلوك وشريعته .

## ثانيا : المحبة والرحمة

ان مجتمع البيت اشد احتياجا الى التراحم والتحاب والتواد من أى مجتمع آخر ، لانه أحوج الى الروابط الوشيجة بين أفراده .. وكيف لا وهم يعيشون فى مكان واحد ويحتاج كل واحد الى الآخر كل يوم وكل لحظة ، ويواجه بعضهم البعض بصورة مستمرة بالليل والنهار فاذا لم تقم معاملتهم على المحبة والرحمة فلا خير فى حياتهم ولا معنى لها .

ان قلة الارزاق والوسائل الترفيهية لا تكون من اسباب تعكير الحياة بقدر ما تكون الفلظة والقسوة فى المعاملة سببا لتعكير الحياة وتفكك أوصال المجتمع بوجه عام ومجتمع البيت بوجه خاص ، فالبيت الذى تسود فيه الرحمة والمحبة والمودة يغمره الحنان والعطف والشفقة وهذا هو البيت السعيد .

واذا أراد الآباء ان تكون بيوتهم من هذا النوع فعليهم ان يقابلوا أفراد الاسرة بطلاقة الوجه وابتسامة الثغر، وان يضفوا أبوتهم وحنوهم وعطفهم وشفقتهم على الجميع لايخصون واحدا دون الآخر وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » وكان مع علو شأنه وعظمة رسالته وثقل حمله فى نشر دعوته ، لا يقصر فى اضفاء محبته على أهل بيته فروى ان الحسن كان يبكى مرة وكان أبواه لايسمعانه فأسرع الرسول الى شاة فى ساحة الدار فحلبها وسقى الحسن من لبنها ، وكان مرة يخطب والحسن والحسين يأتيان اليه فيمشيان مرة ويتعثران مرة أخرى ، فنزل من فوق منبره فحملهما بين يديه ثم قال : نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويتعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما ، وكان مرة

يمشي في الطريق فوجد الحسن يلعب مع أترابه فحاول امساكه وكان يفر منه من هنا الى هناك وظل يسعى وراءه حتى أدركه وحمله الى صدره وقبله من وجنتيه عندما رأى هذا المشهد أحد الصحابة ، قال يا رسول الله : ان لي أولادا ما قبلت أحدا منهم قط ، فقال : له حينئذ : « من لا يرحم لا يرحم » ، وكان الرسول يوصي دائما الآباء بالرحمة بالابناء ، فقال : من كان له ولد فليتقارب له فيكون معه كما يكون الصبي مع الصبي ملاطفة له ، وهذا هو أسلم طريق للصحة النفسية في هذه المرحلة من حياة الاطفال .

وليس التراحم والتحاب مقصورين في البيت على ما بين الآباء والابناء ، بل يجب أن تكون دعامة الحياة الزوجية قائمة على المحبة والرحمة أيضا فلا معنى للحياة الزوجية اذا لم يكن أساسها المحبة والرحمة .

**ثالثا : احترام مشاعر الاخرين**

ان لكل انسان مشاعر عامة وخاصة تختلف عن مشاعر الآخرين بدرجة قليلة أو كثيرة ، فعلى كل واحد أن يفهم مشاعر الغير في البيت ، ثم عليه أن يحترم مشاعره واحساساته عندما يعامله ولا سيما عندما يكون هناك غرباء أو ضيوف أو أصدقاء ، اذ ان عدم احترام المشاعر في هذه الحالة الاخيرة أشد على النفس من الحالات السابقة ، وكثير من أسباب الخلاف والمشكلات والنزاع والخصومات تنشأ نتيجة عدم احترام شعور الآخرين ، كأن يذكر أحدهم عيوب الآخر أمام أصدقائه أو معارفه ، أو أن يصرخ في وجهه أمام الناس لسبب من الاسباب ، أو عدم القيام بواجب الضيوف عندما يدعو أحد الافراد أصدقاءه ، أو عدم احترامه

مشاعر ضيوفه . من أجل هـذا كله ينبغى أن يعتبر هذا الاحترام من أسس التعامل فى مجتمع البيت .

**رابعا : التعاون فى القيام بالواجبات**

هذه النقطة مهمة أيضا فى البيت وأكثر أهميـة ان يلتزم بها الزوجان ، ذلك ان أحد الزوجين قد يعجز عن القيام بواجبه لحالات عرضية أو مرضية ، أو انه لايستطيع القيام به كما ينبغى لأمر من الامور ، فعلى الآخر فى هذه الحالة أن يساعده ويعاونه فى أداء واجبه ، فعلى كل واحد أن يعتبر ان كل الاعمال المتعلقة بالبيت عمله وواجبه . قال تعالى : « وتعـــاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

# مظاهر الحياة فى البيت الاسلامى

سنتكلم تحت هذا العنوان عن ثلاثة مظاهر : مظهر النظافة ، ومظهر الادوات ، ومظهر الكسوة ، ونبرز فيها مدى اهتمام الاسلام بكل واحد من هذه المظاهر ، وكيف تمثل هذه الامور مجتمعة صورة ، أو شكل الحياة فى البيت الاسلامى وتعطيه طابعا اسلاميا خاصا.

## أ ـ نظافة البيت :

اهتم الاسلام بالنظافة اهتماما كبيرا حتى جعلها مرة شطرا من الايمان ، وجعلها مرة أخرى شرطا له ، وهذا موافق لروح الاسلام ، ذلك انه أمر أول ما أمر بتطهير القلوب من أدران الشرك ، ثم من الغل والغش والحسد والحقد ، وأمر بنظافة الجسد والملبس ليكون المسلم نظيف المظهر ، ونظيف الباطن ، وليطابق طهارته فى ظاهره طهارة قلبه ، وأمر بنظافة المأكل والمشرب ، والادوات فى البيت لوقاية الافراد من الامراض .

بالاضافة الى هذا ، فان للنظافة أهمية اجتماعية ، ذلك ان القذارة نتنة تنفر الناس بعضهم من بعض

ومعلوم ان الاسلام يأمر بالتكتل ، والتجمع ، والمصاحبة والمصادقة ، ومن هنا نرى انه جعل فضل صلاة الجماعة على صلاة المنفرد خمسة وعشرين درجة ،

وكره للناس حضور المساجد اذا أكلوا الثوم والبصل ، واستحب التطيب والاغتسال والتزين قبل صلاة الجمعة قال تعالى : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم باستعمال السواك حتى لا تكون أفواه النـاس تفوح بالرائحة الكريهة . قال صلى الله عليه وسلم : تسوكوا ، فان السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب ، ما جاءنى جبريل الا واوصانى بالسواك حتى خشيت أن يفرض على وعلى أمتى . وقد أمر بالسواك لانه لم يكن فى ذلك الوقت فى تلك البيئة وسيلة لتطهير الفم أحسن منه ، ولهذا فالاستحباب ـ كما أفهمه ـ لا فى السواك نفسه وانما فى النظافة .

وقال أيضا : « اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فان بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الى نقطة هامة ، وهى ان عدم النظافة يكون سببا للزنا ، ذلك ان أحد الزوجين اذا كان يهمل النظافة ، نظافة جسمه ، ونظافة ثيابه فيكون منظره بشعا ورائحته نتنة ، فينفر الآخر منه ، فلا يجب أن يقترب اليه ويرغب فيه ، وبذلك يتحول عنه الى غيره ، ولهذا ينبغى أن يتزين كل واحد لصاحبه بالصورة التى يجب أن يظهر فيها أو يرغب فيها .

**ب ـ كسوة البيت وملابسه :**

فيما يتعلق بالاقمشة اجاز الاسلام للمرأة لبس أنواع الاقمشة والتزين بها ، أما بالنسبة للرجل فلا يجوز له لبس الالبسة المصنوعة من حرير دود القز ، أما اللباس المصنوع من حرير الاعشاب أو من الحرير

الصناعى فلا مانع من ذلك .

وفيما يتعلق بالتزين لا يجوز للرجل أن يتزين بالذهب ولبس الحرير ويجوز له التزين بالفضة ، أما بالنسبة للمرأة فلها حق التزين بالذهب والحرير وجميع أنواع الزينة لان التزين من مطالب طبيعة المرأة . والاسلام لا يحرم الانسان من اشباع مطالبه الاولية وان كان قد وضع لهذا الاشباع بعض القيود التى ينبغى أن يتم فى اطارها فى بعض الحالات الخاصة .

غير انه ينبغى أن نلاحظ هنا نقطة مهمة ، وهى ان الاسلام اذا كان قد أباح للمرأة التزين من غير قيود وببعض القيود للرجل ، وشجع على التزين فى حالات التجمع ، الا انه الى جانب هذا فضل ألا يكون ذلك على حساب الدين أو على حساب الفقراء ، فمثلا لا يصح المبالغة فى الاهتمام بزينة الدنيا والتباهى بها يتسابق اليها الاغنياء ويتفرج عليهم الفقراء وهم لا يملكون الا الشعور بالحرمان والاحساس بالكآبة .

فهناك المشروعية ، وهناك الافضلية ، فالذى يتزين بزينة الدنيا المباحة لا يعتبر خارجا على الاسلام ، ولكن الذى لا يهتم بها ويتجه الى القناعة والاهتمام بالدين وبالخدمات الانسانية ، فلا شك ان هذا أفضل من ذلك ولكن شيئا واحدا أمر الاسلام المسلمين الالتزام به ، هو ألا يكون منظرهم من حيث النظافة واللباس منفرا يثير الاشمئزاز والتقزز فى النفوس . ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يظهر أمام الناس الا مصففا شعر الرأس ولابسا لباسا نظيفا ، وكان يتطيب . وقد لبس الرسول صلى الله عليه وسلم اللباس المرقع ، ولكنه لم يلبس لباسا غير نظيف ، فالفقر ليس عيبا ، وانما العيب هو القذارة والظهور بمنظر غير لائق .

واما فيما يتعلق بتستر الرجال والنساء ، فأقل واجب على الرجل أن يستر ما بين السرة والركبة وهناك رأى آخر يرى ان أقل واجب ستر السوأتين فقط .. هذا او ذاك على كل حال من حيث الحرام والحلال ، أما من حيث الافضلية فالافضل أن يستر ما ينبغى أن يستر عادة وعرفا ولان اللباس زينة لابن آدم .

وأما بالنسبة للنساء فالحالة تختلف بين البيت وخارج البيت ، ففى خارج البيت لا يصح أن يرى منها الا الوجه والكفين والرجلين ، فقد روى أن أسماء بنت ابى بكر دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال : يا اسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها الا هذا ، وأشار الى وجهه وكفيه . وينبغى أن يلاحظ هنا ان بعض الثياب الرقاق التى يلبسها بعض النساء لايرى منها الا الوجه والكفين ، الا انها لرقتها تظهر اجسادهن ..

فمن حيث اللباس يعتبرن كاسيات ، ومن حيث ما يظهر تحته يعتبرن عاريات ، فالحكمة من التستر هى منع الاثارة التى قد تكون بزى معين وقد تكون بالكلام وقد تكون بالاشارة ، وقد نهى الاسلام عن كل انواع الإثارة .

وكما دعا الاسلام الى الاحتشام فى الزى ، دعا ايضا الى العفة ونهى عن أن تكون الفتيات سلعة فى البيوت يتاجر بأعراضهن . قال تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » وبما ان الاب كرئيس البيت يعتبر اكبر مسئول عن البيت الاسلامى فعليه أن يروض أهله وأبناءه وبناته على النظافة وعلى الهندام الجميل وعلى الزى الاسلامى .. ان تستر البيت واحتشامه والابتعاد

عن الفتنـــة كما يأمر الاســـلام يحمى البيت من الفتن والفساد ويحفظ شرفه ومكانته كما يحفظه من أن يكون موضع الانظار ومقصد الرجال .

**ج ـ ادوات البيت**

ان الاسلام بين كل شيء فيما يتعلق بالبيت الاسلامى حتى الادوات المنزلية التى ينبغى أن تستعمل فى البيوت لانه يريد أن تسود روحه فى كل مكان فى البيت وخارج البيت فى الظاهر والباطن . وقد قلنا ان الاسلام ينهى عن التسابق الى التفـــــاخر بالوان التزين والفخفخة والابهة والعظمة بالمال والجاه وزينة الدنيا ، ودعا الى التسابق فى الخيرات والاعمال الصالحة .

ومن هنا حرم الاســـلام اســـتعمال الادوات المنزلية المصنوعة من الذهب والمذهبة ، والادوات المصنوعة من الفضة أو المفضضة الا اذا كسرت وأصلحت بالفضـــة القليلة ، أما الادوات اللازمة وغير المصنوعة من الذهب والفضة فيجوز استعمالها وهىغير مقيدة بقيود معينة ، ولان الذهب والفضة معادن غالية ونادرة فانها تعتبر بمنزلة عملة ، فاقتناء الاغنياء الأوانى والادوات المنزلية يعتبر احتكارا وكنزا للذهب والفضة وقد منع الاسلام الاحتكار واكتناز الذهب والفضة وانذر فاعلها بالعقاب الاليم يوم القيامة .

## نظام الارث

اعترف الاسلام بنظام التوارث لانه يؤدى الى تقوية العلاقات ودوام الصلات بين أهل البيت ولان هذا المال حق طبيعى لهم لما بذلوه من عون للمـورث فى حياته ، وشاركوه فى عمله وناصروه عند ضعفه وعجزه .

وبالرغم من اهمية نظام الارث فان بعض الناس يدعون الى الغائه وجعل المال الذى تركه الميت ملكا للجميع وحقا للمجتمع ، ولهذا ينبغى أن يوضع فى خزانة الدولة . وهم يبررون دعواهم بأن الذى يرث من اقربائه أموالا سواء كانت قليلة أو كثيرة فانه يأخذها بدون مقابل . هذه الدعوة تنقض نفسها بنفسها ذلك اننا اذا قلنا انه حق لجميع افراد المجتمع فبأى حق وبأى مقابل يأخذه هؤلاء الافراد وهل تعبوا فيه وساهموا فى جمعه كما فعل هؤلاء الاقربون ؟ اذن يأخذونه بدون اى مقابل وقد أرادوا أن يمنعوا ورثته بحجة أنهم يأخذونه من غير مقابل وبذلك قد ابطلوا حجتهم بأنفسهم ووقعوا فى حفرة حفروها بأيديهم .

واذا كان المجتمع يأخذه بدون مقابل فأهله أولى به من هذا المجتمع فى أخذه بدون مقابل ولو ألغينا نظام الارث لاستوى العامل لغده والذى لا يعمل الا ليومه ، وهذا يورث الكسل اذ ان الانسان لا يمكن أن يعمل لمن لا يمت اليه بصلة ، ولا يعمل ليدخر للناس الآخرين كما يعمل ليدخر لابنائه .

يتبين لنا من هذا كله ان نظام الارث حق طبيعى لاهل البيت وله دور فى تماسك مجتمع البيت .. كما ان له أثره فى تشجيع الآباء على العمل الجاد المثمر ، ولهذا ينبغى أن يبقى وأن يستمر .

# علاقة البيت بالبيوت المجاورة

ربط الاسلام الفرد بالاسرة وربط الاسرة بالمجتمع لتكوين وحدة اجتماعية وقد بينا كيف ربط الفرد بالبيت ونذكر هنا كيف ربط البيت بالمجتمع عن طريق اقامة الترابط والعلاقات بين البيوت المتجاورة .

وقد ربط الاسلام بين البيوت كما ربط بين الافراد وكانت الاسس التى أقام عليها هذه العلاقة هى الاسس التى أقام عليها علاقة كل مسلم بأخيه المسلم ، وأهم هذه الاسس هى :

أولا : عدم التجسس على البيوت

هـذه النقطـة مهمة ، ذلك أن البعض يحاولون أن يعرفوا كل شىء عن جيرانهم .. ثم اذا كشـفوا شيئا أعلنوه بين الناس ، وكأنهم كشفوا شيئا هاما يكافأون عليه ، أو كأنهم اخترعوا شيئا يفتخرون به .

هـــذه الامور تثير البغضاء والفتن والخصومات بين الجيران .. ولهذا منع الله التجسس ، قال تعالى : « ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا . أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيـه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » (١) .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٢

كذلك منع الاسلام الاطلاع على عورات الجيران والنظر الى البيوت ليطلعوا على ما حرم الله الاطلاع عليه وهذا من الخصال الخبيثة ، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من نظر الى بيت أحدكم من هوة فيه فأخذت حصاة فحذفته ففقأت عينه فلا جناح عليك » .

ثانيا : عدم ايذاء الجيران بأى شيء ، كسد طرقهم او القاء القمامة أمام دورهم ، أو فتح المذياع بصوت مرتفع . لقد منع الاسلام ايذاء الجيران حتى بريح القدر أو بالوان الاكلات الشهية .. فعلى المرء أن يسترها عن أعينهم ، والا فالواجب أن يعطيهم منها .

ثالثا : مشاركة الجيران مشاعرهم فى السراء والضراء فعليهم أن يهنئوهم اذا أصابهم الخير ، ويعزوهم اذا ألمت بهم الملمات ، وأن يزوروهم اذا مرضوا .

رابعا : التهادى واستقبال كل منهم بالبشاشة والترحيب .. فالتهادى مهم لانه يورث المحبة ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « تهادوا تحابوا » وقال : « لو أهدى لى فرش شاة لقبلت » والتزاور واجب ، وكذلك البشاشة لها تأثير فى الالفة وتوثيق الروابط وادخال السرور فى نفوسهم .

خامسا : التعاون والمساعدة ، يجب على الجار أن يعاون الجار فى الامور التى تحتاج الى المساعدة والمعاونة سواء كان بالمال أو بالخدمات الاخرى .

فقد قيل للرسول صلى الله عليه وسلم ، ما حق الجار على الجار ؟ فقال : « ان استقرضك أقرضته ، وان استعانك أعنته ، وان مرض عدته ، وان احتاج اعطيته وان افتقر عدت عليه ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا

تستطل عليه البناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ، ولا ترده بريح قدرك الا أن تصرف له منها ، وان اشتريت فاكهة فاهد له ، وان لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ ولده » .

ان الاسلام قد اهتم بتنظيم العلاقة بين الجيران وتقويتها أيما اهتمام حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس مؤمنا من بات شبعان وجاره جائع » وقال : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه » أى يكاد ينزل الاسلام قرابة الجيران منزلة قرابة النسب ويعطى ما لذاك من الحقوق ما لهذا .

بل أكثر من هذا ، فالاسلام قد ربط اكرام الجار بالايمان بالله فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » .

## نظام حماية البيت

اعتبر الاسلام البيت حرما خاصا لاهله .. ولهذا منع من لم يكن من أهل البيت ان يدخل فيه الا بالاذن ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » (١) .

وحدد طريقة الاستئذان ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » .

---

(١) سورة النور آية ٢٧

فلا ينبغى للزائر أن يدق الباب أو الجرس أكثر من ثلاث مرات ، كما منع التحدث الى البيوت من وراء الجدران أو من الطرقات كما يفعل كثير من النـاس ، ينادون سكان البيوت من الطرقات ومن بيوت الى بيوت أخرى ، فهذا لا يتناسب مع الادب الدينى ، فضلا عن انه قد يؤدى الى النظر الى ما حرم الله أن ينظر اليه وازعاج الجيران ، قال تعالى : « ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » (١) .

***

وقد ذكرنا حديثا حرم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم النظر الى البيوت من الخارج حتى لا يطلع على حرماتها وأسرارها ، وذكر انه لو ضرب عين الناظر فى هذه الحالة وفقأها فلا جناح عليه .

وكما وضع الاسلام مبادىء وقوانين لحماية البيت من الخارج ولاحترام حرماته وضع كذلك قوانين لحمايته من الداخل فحرم على أهل البيت افشاء سره . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته ، وتفضى اليه ثم ينشر سرها » (٢) .

ثم وضع قوانين وعقوبات صارمة على الذين يسعون لافساد البيت وتخريبه ، ولاثارة الفتن فيه ليمنع العابثين بأعراض الناس .

وأخيرا قد أعطى الاسلام السلطة وحرية الدفاع عن حرمة البيت وأمانته . فلأهل البيت أن يدافعوا عن شرفهم ومالهم وعرضهم وأنفسهم ولو أدى هذا الدفاع الى قتل المعتدى ولا جناح فى ذلك على القاتل .. واذا مات المدافع

(١) سورة الحجرات آية ٣

(٢) صحيح المسلم ـ باب تحريم افشاء سر المرأة .

عن هذه الامور مات شهيدا كما يموت فى ميدان الحرب وفي الجهاد فى سبيل الله ٠

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » (١) ٠

---

(١) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ـ باب بيان جماعة من الشهداء فى ثواب الاخرة ٠

الفصل الثالث

# الأسس الإسلامية لحل مشكلات البيت

ان سلوك المرء لا يمكن أن يستمر بأسلوب واحد وفى اتجاه واحد دائما وباستمرار ، ولكنه يتغير فى بعض الاحايين وفى بعض المواقف نتيجة تأثره بعوامل داخلية ذاتية بيولوجية كانت أو سيكولوجية ، وبعوامل خارجية خاصة بالبيئة أو بالظرف أو بالموقف الذى هو فيه ، فتدخل هذه العوامل أو تلك قد يؤدى بالانسان الى أن يسلك سلوكا غير معتاد وغير منتظر منه .

هذا التغير الجزئى والوقتى فى نفس الوقت لا يدل على تغير الشخصية بوجه عام فالمرء غالبا ما يعود الى سيرته الاولى بعد اجتياز هذا الموقف ، وبعد زوال تلك العوامل الطارئة المؤثرة عليه .

وهنا يوجد أمران فى غاية الاهمية بالنسبة لافراد البيت ، بل بالنسبة لكل جماعة تجمعها حياة مشتركة

الامر الاول : أن يعرف كل واحد شخصية الآخر معرفة كاملة وينظم علاقته به وتعامله معه بناء على معرفته لتلك الشخصية .

الامر الثانى : انه اذا تصرف الشخص تصرفا غير مألوف منه ، أو أخطأ مرة أو مرتين ، فلا ينبغى أن يقال عندئذ انه تغير وتبدل ، وبالتالى يسارع رفيقه أيضا الى تغيير موقفه منه ، بل عليه أن يحاول فهم العوامل

الخارجية والداخلية التى أثرت عليه وجعلته يسلك هذا المسلك أو ذاك ، ثم بعد ذلك عليه أن يحاول ازالة تلك العوامل أو التقليل من تأثيرها عليه وأن يعرف الاسباب التى جعلته يتصرف هذا التصرف ان لم يكن يعرفها .

ان ظاهرة حدوث التناقض فى سلوك المرء ظاهرة ليست غريبة علينا فهى مألوفة نراها ونلمسها فى حياتنا اليومية وفى تصرفاتنا وتصرفات غيرنا حولنا ، فانسان يفرح ويحزن ويغضب ويهدأ ويضحك ويبكى ، قد يستقبل أصدقاءه بطلاقة الوجه ورحابة الصدر فى يوم ولعارض ما يستقبلهم فى يوم آخر بوجه عابس وصدر ضيق .

فالزوج مثلا قد يعرف شخصية زوجته منذ الايام الاولى من الزواج على انها شخصية مرحة باسمة الثغر رقيقة الشعور ، لطيفة المعاملة ، حسنة الخلق الى آخره ، فاذا ما رآها يوما عابسة الوجه لاذعة اللسان خارجة على طبيعتها الاولى بوجه عام لاينبغى له فى هذه الحالة أن يتسرع ويقول انها غيرت طبيعتها وأصبحت فى حالة لا تطاق اليوم ، وبالتالى يقدم على طلاقها أو فراقها ، فان هذه التغيرات الوقتية والوقفات الفردية لا تدل على تغير الشخصية وتبدل المشاعر . وقد توجد هنا فروق بين الناس ، فمن الناس من يظهر تناقضات كثيرة فى طريقة معاملته للناس وفى طريقة تفكيره وفى ميوله واتجاهاته ، ومنهم من لا تلمس منه هذه التناقضات الا فى القليل النادر ، ولا شك ان التعامل مع الاول أصعب بكثير من الثانى ، وان أثر الاول فى احداث الصراع النفسى والقلق فى نفسية أولاده الصغار أكثر وأشد من الثانى ، وهذه النقطة ليست مهمة فقط فى اختيار الازواج فحسب ، بل هى مهمة

أيضا فى اختيار الاصحاب والاصدقاء ، وعلى أى حال فانه ان حدث من احد أفراد البيت تجاه الآخر حالة ما تغضبه أو تزعجه أو تصرف خاطىء فى حقه ، فماذا ينبغى أن يفعل فى هذه الحالة ؟ ..

هنا يأتى دور هذا الاساس الاول الذى نتحدث عنه ، وهو المعاملة الطيبة والموعظة الحسنة ، التى توجب عليه أن يقابل الاساءة أولا بالاحسان وبالصفح واللين والرفق واللطف فان الرفق والصفح يزيلان ما بين الشخصين من عداوة وضغينة ، قال تعالى : « ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (١) الى جانب هذا فالرفق يعتبر عتابا رقيقا للمسيىء .

فلرب بسمة فى وجه الغاضب الهائج المائج تضع الثلج فى نار قلبه وتكون بلسما لاوجاعه وآلامه ، فقد روى أن عائشة غضبت مرة على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى قالت : أتزعم انك رسول الله يا محمد ؟.. فماذا كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم ؟.. كان الصفح واللين ، فقال : نعم يا عائشة ، أنا رسول الله ، فما لبثت ان هدأت وسكنت وعادت الى طبيعتها الاولى

أما الغضب فى وجه الغاضب فيضع الحطب فى النار المشتعلة والعود فى موقد البارود .

ومن ناحية أخرى فان الانسان ينبغى الا يغضب لامور تافهة اذا ما حدث ازاءه من الآخر ما يضطره الى الغضب ، فينبغى الا يتكلم او يناقش حتى يسكن غضبه ، لان الغضب يذهب العقل فلا يدرى ماذا يتكلم وبماذا يحكم وكيف يتصرف وماذا تكون نتيجة هذا وذاك .. فالتصرف فى حالة الغضب ولو كان بسيطا قد يؤدى

(١) سورة فصلت آية ٣٤ .

الى أخطاء جسيمة لا تقدر بموازين العقل والحكمة .

ولهذا فقد أمر الاســلام بالتغلب على الغضب ٠٠ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة، وانما الشــديد من يملك نفســـه عند الغضب » وقال : « لا تغضب » فرددها مرارا .

ويعتبر التغلب على الغضب فضيلة ، لان الفضيــلة هى مغالبة للنوازع النفسية بوجه عام ، فالكرم مغالبة لشح النفس بالمال ، والعفة مغالبة لدافع الشهوة والعفو مغالبة لرغبة النفس فى الانتقام ، وهــكذا ٠٠ والغضب له أضرار نفسية وأضرار اجتماعية كثيرة تحدث عنهــا علماء النفس والاخلاق والدين .

واذا لم يفد اللين والموعظة الحسنة يأتى دور الاساس الثانى وهو :

**الزجر :**

هناك أفراد فقدوا الاحساس الانسانى الرفيع والمشاعر الرقيقة ، فلا تكفيها الاشارات اللطيفة والمعـاملة الطيبة لتعدل عن خطأ مسلكها، وسوء سيرتها ٠٠بل ربما تعتبر ذلك الاسلوب فى المعاملة ضعفا فى شـــخصية الرجل ، وبالتالى فلا تبالى بحسن توجيهه وارشاده ، هنا لابد من استخدام الزجر والتهديد والشدة فى اللهجة لانها قد تخاف ولا تستحى ، وهناك آخرون أقل حســاسية من هؤلاء أيضا ، فلا ينفعهم الزجر ٠٠ وهنا يأتى دور :

**الهجر :**

وهو مقاطعة العاصى والمخطىء حتى يعدل عن مسلكه

الخاطىء وعصيانه ونشوزه ولا شك ان المقاطعة أصعب من الزجر لان الزجر يكون بالـكلام فهو مؤقت وقـد يؤثر أو لايؤثر ، ولـكن الهجر صعب ، ولاسيما هجر الاصحاب والاصدقاء والاحبـاب ، وما بالك اذا هجر أفراد الاسرة العاصى حتى يعدل عن عصيانه ؟.. فانه يشعر عندئذ وكأنه فقد أهله وأسرته لانهم يعـاملونه أشد من معاملة الغرباء الاباعد فيشعر عنـدئذ بالغربة والوحشة اذ لايكلمه أحد ، ولا يعطف عليه ، ولا يبدى اى اهتمام به وكأنه أصـبح مهملا وكأن وجوده أصبح معدوما بين يوم وليلة أمام أصحابه واحبابه وأهله ..

ولعل هجر الزوجة عند نشوزها فى فراشها اشـد عقابا مما سبق ، وكيف لا ؟ .. وقد كسدت بضاعتها فى سوق زوجها ، فتراودها فـكرة العـــودة الى حالتها الاولى والحياة مع زوجهـا راضـية مرضـية ، وقـد استخدم الرسول الهجر مع زوجاته واستخدمه ايضا كعقاب قضى به على الذين تخلفوا بغير عذر عن غزوة تبوك وأمر أصحابه بهجـرهم حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، واذا لم يفد الهجـر أيضا يأتى دور العقاب المادى

**العقاب المادى :**

العقاب المادى هو أى عقاب حسى مؤلم مثـل الضرب وغيره وهـذه الطريقة لا تليق الا بمن فقـدت نفسـه الحساسية الانسانية الرفيعة ، فلم يعد يفهم أو يعقل أو يتعظ الا بالضرب والتعذيب فهو كالحيوان فى هذه الطبيعة الغليظة ، وقد ذكرنا أن الاسـلام أباح الضرب بقيـود

معينة وذلك كوسيلة للتنبيه وليس كوسيلة للتربية ، بل العقاب كله ـ ماديا وأدبيا ـ يعتبر وسيلة للتنبيه لا أكثر ولا أقل .

وقد ذكر القرآن هذه الامور السابقة كلها فى معرض نشوز الزوجة ، فقال تعالى : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فان طعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » (١) . واذا لم تحل المشكلة بالوسائل والطرق السابقة تأتى الوسيلة التالية وهى ..

**الوساطة :**

اذا لم يفد العقاب المادى دل ذلك على عدم وجود التفاهم فى نقطة هامة أو مشكلة معينة ، ودل على ان المشكلة اعمق وان هناك رغبات أساسية لم تتحقق مما دفع الناشز الى النشوز والعصيان وهو أمر يجعله غير مستعد للعودة الى الحالة الاولى ما دامت المشكلة قائمة

من هنا يحتاج الامر الى وساطة والى حكم يدرس الموضوع مع الطرفين مثنى وفرادى ليهتدى الى حله ، قال تعالى : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها . ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » (٢) يقول الامام الزمخشرى فى هذا الموضوع اذا كان قصد الحكمين اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلبهما ناصحا لوجه الله بورك فى وساطتهما

---

(١) سورة النساء آية ٣٤ .
(٢) سورة النساء آية ٣٥ .

وأوقع الله بطيب انفسهما المودة والرحمة .

وقد يتوقف الصلح على تنازل الزوجة عن بعض حقوقها والعدول عن زهوها وكبريائها فينبغى ان تفعل ذلك لبقاء صفوة الحياة الزوجية ودوام حسن المعاشرة كما فعلت سودة بنت زمعه زوجة الرسول حين عدلت عن حقها فى القسمة واعطته لعائشة لما رات اعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنها فكان الرسول مضطرا من ناحية العدالة أن يعطيها حقها ، ولكن نفسه كانت لا تميل اليها لكبر سنها فكان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه مكره على فعل شيء لا ترضاه نفسه ، فكان الحل ، اما الطلاق أو التنازل عن حقها ، فاختارت التنازل لتبقى مصونة ومشرفة فى عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم .

- وقد أثنى الله على الطريقة التى عالجت بها أمرها

وانزل قوله سبحانه : « وان امراة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير » (١) وليس حكم الآية خاصا بسودة وحدها .. فان الله تعالى يحث بهذه الآية النساء جميعهن على الاسراع الى الصلح عند النزاع ولو أسقطن فى ذلك بعض حقوقهن فى سبيل الاستقرار واطمئنان البيت اذا كان حل المشكلة او تحقيق الصلح متوقفا على هذا التنازل .. واذا كان سبب المشكلة يرجع الى الزوج فعليه أن يتنازل ايضا عن بعض حقوقه ، اذا اقتضى الامر ، وينبغى أن يتسابق كل من المتنازعين الى الفضيلة والمسارعة الى الصلح قبل الآخر ويبدى

---

(١) سورة النساء آية ١٢٨ .

الاستعداد للتفاهم والعفو والصفح والتنازل عن حقوقه فقد قيل : « ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » (١) .

وكما تنشب المشكلات بين الزوج والزوجة ، فقد تنشب أيضا بين الاخوة أو بين الابناء وتحتاج المشكلة الى وساطة وفى عملية الوساطة قد يتوقف حل المشكلة على التنازل والتضحية ببعض الحقوق أو كلها .. فالفاضل فى مثل هذه المشكلات هو الذى يسرع الى الصفح والعفو والتنازل عن حقوقه فى سبيل هناء البيت وسعادته ، قال تعالى : « وان تعفوا وتصفحوا فهو خير لكم » وكما دعا الاسلام الى الصلح ، كذلك دعا الى اصلاح ذات البين اذا ما حدث نزاع بين طائفتين أو بين اسرتين أو بين الزوج والزوجة أو بين أخوين شقيقين أو مسلمين ، قال تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٢) .

**الطلاق :**

واذا عجز الحكام عن حل مشكلة الزوجين واصلاح ذات البين ، وازداد التنافر بينهما ونشبت العداوة والبغضاء بحيث حولت حياة البيت الى أتون يتأجج

---

(١) صحيح البخارى ـ باب ليس الواصل بالمكافيء ج ٨
(٢) سورة الحجرات آية ٨ ـ ٩

بالبغض ويفور بالكراهية ولم تبق وسيلة لازالة تلك الظلمات الحالكة القاتمة من سماء البيت واطفاء تلك النيران المشتعلة فيه .. ففى هذه الحالة يأتى مبدأ الطلاق كوسيلة لحل هذه المشكلة . وقد اجاز الاسلام الطلاق على كراهة منه لانه تفريق لا تأليف والاسلام ينزع دائما منزع التأليف لا التفريق ومن هنا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « الطلاق ابغض الحلال الى الله » وعلى أى حال فان الطلاق آخر وسيلة نهجتها الشريعة لانهاء مشاكل الحياة الزوجية .

ان الزواج رابطة مقدسة تقوم على المحبة والوئام فاذا انفصمت عراها وانقطعت حبالها وزالت كل امال الحياة فى ظلها فعسى الله أن يغنيهما ويجعل حياتهما بعد فراقهما خيرا مما كانا عليه من قبل ، قال تعالى : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » (١) .

وعلى الزوج اذا عزم على ابرام الطلاق والفراق ان يسرحها باحسان من غير ظلم وايذاء ، قال تعالى : « يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا » (٢) وقال أيضا : « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا » (٣) .

## التفريق القاضى بين الزوجين من غير طلاق :

قد يتهم الزوج زوجته بارتكاب الفاحشة ، أو تتهم

(١) سورة النساء آية ١٣٠ (٢) سورة الاحزاب آية ٢٨ .
(٣) سورة الاحزاب آية ٤٩ .

الزوجة زوجها بذلك ولا يوجد لاحد منهما دليل على دعواه ، رغم أنه قد يكون صادقا فى هـذه الدعوى .. فكيف نحل هذه المشكلة من وجهة النظر الاسلامية ؟ ..

حل الاسلام هذه المشكلة كالآتى : يطالب الزوج ان كان صاحب الدعوى ان يشهد اربع مرات بالله انه من الصادقين ويشهد خامسا أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ثم تحلف زوجته أربع مرات بالله انه لمن الكاذبين وتقول فى الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ، قال تعالى : « والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين . ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين » (١) .

وبعد ذلك يفرق القاضى بينهما اجبارا عقوبة لهما حتى يقر المذنب فيرجم أو يكذب المدعى نفسه فيجلد ثمانين جلدة ، هـذه حالة واحدة من حالات التفريق وهو قد يعتبر طلاقا وقد لا يعتبر ، وهـذا ما جعلنى أعتبره وسيلة مستقلة عنه لحل مشكلات البيت .

**تعدد الزوجات :**

هناك مشكلات من نوع خاص لايمكن حلها الا عن طريق تعدد الزوجات ، منها المشكلات الناجمة عن بعض الحالات المرضية مثل مرض الزوجة بأحد الأمراض المعدية المستعصية أو المخلة بالحياة الزوجية .

---

(١) سورة التوبة آية ٨

فماذا يفعل الزوج فى هذه الحالة ؟ هل يبقى محروما طول حياته والحرمان بعد الزواج - كما يقولون - اشد على النفس من الحرمان قبل الزواج ؟ وهل يطلق زوجته المريضة ويفارقها ويطردها من البيت ليتزوج بأخرى ؟ وكيف يشردها وهى فى هذه الحالة واين تذهب واين تجد المأوى ؟ واى دين واى ضمير انسانى يرضى ان يقدم على هذه الفعلة الشنيعة واى ظلم يكون اشد من هذا الظلم ؟ تعذيب المريضة على فراشها وهى فى اضعف واعجز حالاتها ولكن ما ذنب الزوج ؟ وما ذنب الزوجة كذلك ؟ اليس من الافضل فى هذه الحالة ان نبيح للزوج تعدد الزوجات وتبقى الزوجة المريضة فى عصمته آمنة فى فراشها وفى عشها ؟ وهل هناك وسيلة اخرى غير التعدد فى هذه الحالة لانقاذ الطرفين من المشكلة ؟

ومنها المشكلة الناتجة عن عقم الزوجة ، فقد يتزوج الرجل بامرأة عقيم ، وهو يود أن يكون له ولد من فلذة كبده ليرى صورة نفسه فيه ويخلد اسمه به وليرثه من بعده وليتمتع بزينته وبهجته ؟ وصدق الله العظيم اذ يقول : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » (١) فاذا منعناه فى هذه الحالة من الزواج بأخرى فانه سوف يشعر دائما بالحرمان من هذه المتعة ومن هذه النعمة

هذه مشكلة كيف نحلها ؟ هل نقول له طلق زوجتك وتزوج بأخرى ؟ وما ذنب الزوجة فى هذه الحالة .. حتى نشردها من عشها واين تذهب ؟ ولكن ما ذنب الزوج أيضا حتى نحرمه من نعمة الولد ؟ اليس من

(١) سورة الكهف آية ٤٦ .

الخير فى هذه الحالة ان تبقى الزوجة فى بيتها آمنة مطمئنة وأن نبيح للزوج التعدد لينال ما يتمنى ؟ وهل هناك مخرج آخر وطريق أعدل من هذا الطريق للتخلص من هذه المشكلة ؟ ..

ومنها مشكلة ناشئة عن بعض الظروف والحالات الاجتماعية غير العادية ، مثل نقص عدد الرجال وزيادة عدد النساء وذلك نتيجة للحرب أو لامر آخر كما حدث مثل ذلك فى المانيا نتيجة الحرب العالمية .. ففى هذه الحالة لو تزوج كل رجل بواحدة فماذا تفعل الباقيات؟ فلا بد من أن يقدمن على الفاحشة ان عاجلا أو آجلا بارادتهن أو تحت سلطان الشهوة .

واذا كانت قلة منهن تستطيع ان تبقى عفيفة تحت سيطرة الروح الدينية وسلطان الحاسة الادبية والخلقية فأين هذه الروح ، وهل هى سائدة فى المجتمع كله ؟ ولو انا فرضنا أنهن استطعن أن يبقين عفيفات فأى الامرين احسن لهن ؟ وأى الحياتين أفضل ؟ حياة العزوبة ، أم الحياة الزوجية ، مثنى أو ثلاث تحت عصمة رجل واحد ؟ لاشك ان العقل العلمى والوعى الصحى والاجتماعى يحكمان ان الحياة الزوجية فى صورة التعدد افضل من الحياة العانسة أو حياة العزوبة .

ومنها مشكلة تنشأ نتيجة زواج الرجل بامرأة باردة او ضعيفة لا تشفى غليل صدره ولا تسكن شهوة نفسه ونتيجة لذلك تدفعه شهوته الى قضاء وطره فى أخرى بأية وسيلة كانت وبأية طريقة تيسرت له . ونتيجة لذلك تستولى عليه الافكار السيئة ويقع فى صراع نفسى بين الاقدام على ارتكاب جريمة من أكبر الجرائم فى نظر

الاسلام وبين العزوف ودافع العفة والاخلاق ، فما ذنب هذا الانسان أن يعيش تحت وطأة الصراع النفسى وما ذنب تلك المرأة المسكينة التى لم تكن سببا فى عيبها ، بل خلقتــه فيهــا الوراثة والتربيــة ، فهل نسمح له بطلاقها ؟ وأى جريرة ارتكبت حتى تستحق التشريد والحرمان من عشها ومسكنها الآمن ؟ ..

اذن خير طريق للتخلص من هذه المشكلة أن نسمح للرجل بتعدد الزوجات ، وأن تبقى زوجته القديمة فى عصمته ..

من أجل كل هذه المشــكلات الواقعية وضـــــع الاسلام مبدأ تعدد الزوجات ، فقال تعالى : « فانــكحوا ما طاب لــكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحــدة (١) ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » (٢) .

الا ان جواز التعدد فى الاسلام ليس على اطلاقه ، بل انه مشروط بشرط قاس كما يفهم من هذه الآية ، وهو شرط العدالة اذ انه ليس من السهل تحقيقه ، بل يكاد لا يوجد هناك من يستطيع تحقيق هذا الشرط

وبالاضافة الى اشتراط العدالة ، فهناك شرط آخر ، وهو القدرة على القيام بأعباء الزواج المتنوعة ، اى أن يملك أداء كل ما تحتاج اليه الزوجات من النفقـــــة والمعاشرة ..

اذن هناك شرطان لجواز التعدد : شرط العـــدالة ،

---

(١) سورة النساء آية ٣ .
(٢) سورة النساء آية ١٢٩ .

وشرط الكفاية · وقد عرفنا ان هناك أهدافا للزواج لابد من مراعاتها عند الزواج وبعده ··

فاذا تحققت جميع هذه الشروط والمطالب ، فلماذا نمنع التعدد طالما انه يتحقق فيه ما يتحقق فى الزواج بواحدة ؟ .. فاذا أبحنا هذا الاخير لأسباب ينبغى أن نبيح الاول أيضا لنفس الاسباب ، واذا منعنا الاول ينبغى أن نمنع الاخير أيضا لان الاحكام تبنى على الاسباب وجودا وعدما ، أو بعبارة الاصوليين الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما .

ثم ان تعدد الزوجات ليس من أجل الرجل دائما ، كما اتضح لنا من الاسباب التى جعلت الاسلام يبيح التعدد وان كانت المرأة قد فهمت الامر على هذا النحو الخاص ، كما فهمه كثير من رجال الفكر والقانون فى الغرب ·

ثم لننظر الى هؤلاء الذين حاربوا التعدد ، كيف وقفوا أمام تلك المشكلات الفردية والاجتماعية ، وكيف وضعوا القوانين لحلها أو لمواجهتها ؟ ..

لقد قالوا ان التعدد جريمة فى حق المرأة ، وبناء على ذلك وضعوا القانون الذى بموجبه لا يصح للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة ، ولكنهم عندما واجهوا تلك المشكلات التى ذكرناها أباحوا أن يتخذ الرجل خليلة ، ولم يقيدوه بأى شرط من شروط العدالة أو النفقة أو القسمة أو غير ذلك من الحقوق الزوجية ، فللرجل أن يتخذ من الخليلات ما شاء من غير قيد أو شرط .

ان المرأة فى الاسلام ــ فى حالة التعدد ــ زوجة مع الحقوق الزوجية الكاملة ·· أما فى الغرب فهى زوجة من

غير حقوق ، او بعبارة أخرى هنا الزيجات محدودة بحقوق زوجية كاملة ، وهناك الزيجات غير محـــدودة ومن غير حقوق زوجية اطلاقا .

فأيهما أكثر عدلا للمرأة ، وأيهما أشد ظلما لها ؟ ..

ولا يحزننا موقف اولئك وقوانينهم بقدر ما يؤلمنـــا موقف البعض من رجال القـــانون فى بعض الشـــعوب الاسلامية الذين الغوا قوانين الاحوال الشخصـــــــية الاســــلامية فى بلادهم وجاءوا بقوانين اولئك بحذافيرها دون مراعاة لشعور شعوبهم ودون أى اعتبار لمبـــادىء دينهم ، فاذا كان أولئك لم يروا الحق لانهم بعيدون عن نور الاسلام ، أفعمى هؤلاء وذهبت أبصارهم وأسماعهم حتى لم يروا هذه الحقائق ولم يسمعوا بها وهى بين أيديهم وظهورهم وهم فى نور الاسلام وتحت ظلاله .

ان عيب هؤلاء أبشع واقبح من عيوب اولئك لانهم يفهمون دينهم عن طريق فهم أولئك وينخدعون بطنطنة دعاياتهم . اذا كان اولئك قد اخطأوا بعــــــد الاجتهـــاد وبسـبب بعدهم عن موطن الحق فان هؤلاء يأخـــــذون ما يقوله غيرهم بدون اعمال فكر ولا روية وبدون أن ينظروا الى موطن الحق الذى هو بين أيديهم واعينهم .

# فهرس



العدد القادم
كتاب الهلال - ٥ نوفمبر
أسرار
العامين
الأخيرين
من
حكم
فاروق
صفحات
خطيرة مجهولة
من
تاريخ مصر
قبيل الثورة
بقلم
حلمي سلام
أيامه
الأخيرة
قصة
عرش
يتزلزل
!
٥ ديسمبر
كتاب الهلال يقدم
شعراء المجون
بقلم صالح جودت


روايات
الهلال
العدد القادم - يصدر ١٥ نوفمبر
أجمل ما كتب
أمير القصة
توفيق الحكيم
مدرسة
المغفلين
١٠ قصص مثيرة
عن المغفلين
في الأرض
احجز
نسختك
مقدما
الثمن
١٠
قروش
روايات الهلال تحمل إليك المتعة والبهجة

## وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ـ ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

**THE ARABIC PUBLICATIONS**
**7, Biskopsthrope Road**
**London S.E. 26.**
**ENGLAND.**

البرازيل :

**Sr. Miguel Maccul Cury.**
**B. 25 de Maroc, 994**
**Caixa Postal 7406**
**Sao Paulo, BRASIL.**

---



# هذا الكتاب

نستقبل شهر رمضان المبارك بهذا الكتاب المؤ[illegible] الباحث الاسلامي الاستاذ مقداد يالجن ، ليكون هديا [illegible] الشهر الذى يشرق فيه نور الهداية على قلوب المسلمين وينير بيوتهم ...

وحول هذه البيوت وبنائها على لبنات الايمان الحق الذى نزلت به رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، يدور موضوع هذا الكتاب ، حيث يعرض لنا المؤلف ، مؤيدا عرضه بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة . الصورة التى يجب أن يقوم عليها البيت الإسلامى . مستعرضا كثيرا من مواقف الرسول وأصحابه ، مستضيئا بها كاشعاعات تتسلل عبر الكلمة الطيبة الى القلوب المتفتحة .

كل هذا فى أسلوب مبسط مستساغ نسأل الله أن ينفع به الاسلام والمسلمين فى كل فج من فجاج أمتهم العريضة .

١٠ قروش